الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

القضايا التعليمية والتربوية عند النخبة الإصلاحية الجزائرية بين 1880م-1914م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

- ميلان الهام

إشراف الأستاذالدكتور:

- فكاير عبد القادر

السنة الجامعية: 2017/2016

إهداء

أهدي هذا العمل إلى أمي الحبيبة

إلى الذي كرس حياته لتربيتنا والسهر على راحتنا إلى الذي دفعني إلى طريق النجاح ولم يبخل علي بشيء في سبيل ذلك إلى أبي الغالي أدامه الله لنا.

إلى من آنسني بكلماته الطيبة وظله الخفيف إلى من تحمل كثرة مطالبي دون أي كلل أو تعب إلى من أفتخر به عظيم الافتخار إلى من لن أنسى فضله علي

إلى زوجي المثالي ، جزاه الله خير جزاء

إلى قرة عيني، إلى من كان بديل متاعب البحث من حين لآخر بضحكته البريئة

إلى فلذة كبدي ابني الغالي ياسر عبد الودود

إلى كل اخوتي إلى جوهرتي الغالية أسماء إلى أخي الفاضل أمين إلى حمزة ويونس

إلى هؤلاء جميعا وإلى كل العائلة أهدي هذا البحث

شكر وتقدير

أشكر الله تعالى على اتمام هذه المذكرة

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف فكاير على توجيهاته السديدة وتشجيعاته المفيدة أشكر كل أساتذة جامعة خميس مليانة الذين أرشدوني كلما توجهت إليهم بالسؤال كالأستاذ فلوح جزاه الله خيرا.

أجدد الشكر لوالدي الذي أمدني بمصادر ومراجع متعددة ساعدتني في انجاز هذا البحث.

قائمة المختصرات:

تر: ترجمة

د.ط: دون طبعة

د.ت: دون تاريخ

ط.1: الطبعة الأولى

مج: مجلد

ج: جزء

د.د دون دار النشر

المقدمة

المقدمة:

عرف النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين الميلاديين في الوطن العربي حركة اصلاحية هامة، قادها علماء وطنيون وسياسيون مفكرون، تميزوا بالموسوعية في تكوينهم وبالمزاوجة بين الأصالة والمعاصرة في أفكارهم وأعمالهم.

وهم من أطلق عليهم بالنخبة الجزائرية التي خاضت كفاحا طويلا وكرست مدة عقود من الزمن في سبيل إصلاح أوضاع المجتمع الجزائري عامة والوضع الثقافي خاصة، لأن الاستعمار الفرنسي لم يكتفي باحتلال أرضها فقط وإنما كان ينفي أي اعتبار يثبت الكيان الجزائري، فقد سعى الاستعمار إلى طمس كل المعالم الحضارية للدولة الجزائرية والقضاء على ثقافتها الأصلية وذلك كان عن طريق تحطيم وتهديم المدارس الجزائرية وكل منابع التعليم بكل أصنافها فان أول شيء فعله الاستعمار حين دخل الجزائر هو القضاء على منابع التعليم من الأوقاف والمساجد وغيرها لأنه كان يعلم أن المدرسة تعد أساس كل تقدم في المجتمع، وهذا ما أدركته النخبة الجزائرية أيضا فتصدت له للحفاظ على التعليم الجزائري وأصالته مع العلم أن هذا الموضوع قد لاقى اهتمام من طرف المؤرخين مبرزين اسهامات النخبة الجزائرية في إصلاح المجتمع الجزائري من الجوانب السياسية إلا أن هذا البحث يتناول اسهامات النخبة الجزائرية في مجال التربية والتعليم في الجزائر من أواخر القرن 19 وبداية القرن 20.

وتتجلى أهمية البحث في إبراز مدى مساهمة النخبة الإصلاحية الجزائرية بالقضايا التربية والتعليم إلى جانب القضايا السياسية، في أفق الكشف عن مخططات وأهداف السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ومدى مساهمة النخبة الجزائرية في مواجهة تلك المخططات من خلال جهودها الإصلاحية دفاعا عن المقومات الأساسية للشخصية الوطنية الجزائرية.

لذلك ، قمت بدراسة تحليلية وقراءة تاريخية لإسهامات النخبة الجزائرية الثقافية في تناولها للقضايا التعليمية والتربوية من خلال استحضار نماذج من النخبة الإصلاحية وقد ركزت على ثلاثة نماذج من هذه النخبة: (عبد القادر المجاوي) و(محمد ابن أبي شنب)، وعبد الحليم بن سماية) . ومن هنا يرجع سبب اختياري للموضوع للعوامل التالية:

- تشجيع الأساتذة وتحفيزهم لاختيار هذا الموضوع
- رغبتي في الإطلاع على مسيرة الشخصيات لأنها تعتبر البذرة الأولى لإصلاح المجتمع الجزائري رغم مخططات الاستعمار.
- الكشف عن محاولات الاستعمار تحطيم مقومات الشخصية الوطنية بكل مكوناتها والتشكيك في الانتماء من خلال السياسة التعليمية الاستعمارية.
- الكشف عن جهود النخبة الإصلاحية في التصدي لمخططات الاستعمار ونوايا التدمير الثقافي والتربوي والعقائدي.

أما الهدف من دراسة هذا الموضوع فهو:

- إزالة الغموض حول ظهورها واتجاهها وإبراز نشاطها التعليمي التربوي على وجه خاص.

وانطلقت في دراسة هذا الموضوع من الإشكالية العامة الموسومة **بالقضايا التعليمية والتربوية عند النخبة الإصلاحية الجزائرية في الفترة التاريخية 1914/1880** .

إن نقطة البحث التي نعالجها في هذه الدراسة هي كيف واجهت النخبة الجزائرية السياسة الفرنسية التعليمية وكيف استطاعت أن تقاوم الجهل ونشر المعرفة العلمية والثقافية الدينية والوطنية، بالاعتماد على امكاناتها وإمكانات شعبها وإلى أي مدى تمكنت النخبة الجزائرية من الحفاظ على المقومات الوطنية للجزائر بصفة عامة وحفاظها على التعليم الجزائري وحمايته بصفة خاصة.

وهناك أسئلة فرعية هي:

- كيف ساهمت المدرسة الفرنسية في تكوين هذه النخبة؟
- ماذا كان اتجاه النخبة الجزائرية وهل كانت موحدة أو منقسمة؟
- ما هي الوسائل التي استعملتها لتحقيق أهدافها؟
- فيما تمثلت ردود فعل الاستعمار والوسط الأوربي عامة؟

وللإجابة على هذه الاشكالية ومختلف تساؤلاتها الفرعية اتبعت خطة البحث المقسمة إلى ثلاث فصول:

تناولت في الفصل الأول الوضعية العامة للتعليم في الجزائر من 1830 حتى 1880 وهو الإطار الزمني الذي ينطلق منه بحيث تطرقت في هذا الفصل إلى وضعية التعليم في الجزائر والمستوى الثقافي للجزائريين أثناء بداية الاحتلال وتناولنا فيه أيضا المراحل التي مر بها التعليم في الجزائر من خلال التشريعات الفرنسية وماذا نتج عن ذلك.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للتعريف بالنخبة الجزائرية وذكر أهم أعلامها وتبيان اتجاهها وأضافها و ذكر وسائلها التي اعتمدت عليها في برنامجها و المبحث الأخير من هذا الفصل أبرزنا بعض مواقفها من بعض القضايا المتعلقة بالشعب الجزائري كالتجنس والإدماج.

أما الفصل الثالث فقد خصصته للنشاط التعليمي والتربوي للنماذج التي افترتها النخبة الجزائرية وكيف عالجوا القضايا التعليمية والتربوية آنذاك.

أوضحنا ردود الفعل الفرنسية والأوربية من نشاط النخبة الجزائرية.

وفي المبحث الأخير الانعكاسات التي خلفتها النخبة الجزائرية وعواملها.

وأنهيت الموضوع بخاتمة وملاحق مدعمة.

أما المناهج المتبعة في هذا البحث فقد اعتمدت على المنهج التاريخي لدراسة فترة من فترات تاريخ الجزائر وتأريخها من 1880-1914.

استعملت المنهج الوصفي اعتمدت على هذا المنهج في وصف نشاط النخبة مع ذكر بعض الصفات الشخصية التي تميزت بها هذه النخبة.

كما استعملت المنهج الإحصائي المقارن لعدد التلاميذ الجزائريين والأوربيين في عهد الإستعمار.

اضافة إلى المنهج التحليلي الذي اعتمدت عليه في تحليل وتفسير واستقراء بعض القضايا التي شغلت النخبة الجزائرية وتحليل مواقفها منها وأهم نتائجها.

أما فيما يخص المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها فقد كانت متنوعة أهمها: أبو القاسم سعد الله في سلسلة كتبه (تاريخ الجزائر الثقافي) ببعض أجزائه التي تناولت الموضوع و الكتاب الجزائريين المسلمين و من فرنسا (شارل روبير) آجرون كتاب وكتاب السياسة التعليمية الفرنسية (لعبد القادر حلوش) وبعض المقالات بمقال (مزاري عبد الصمد) الذي تناول فيه مواقف النخبة الجزائرية من مختلف القضايا بعنوان أهمية الإصلاح وعوامله في الجزائر.

وقد واجهتني في هذه الدراسة بعض الصعوبات هي كالتالي :

- قلة المصادر التي تتناول موضوع النخبة الجزائرية وهذا ما صعب علي الدراسة.

كما كانت بعض المصادر المهمة باللغة الفرنسية مما واجهت بعض الصعوبة في الترجمة.

بالإضافة إلى انفرادي بانجاز البحث قلة النسخ عن الكتب المهمة أو المصادر مما شكل لدي بعض التأخر في انجاز البحث.

ومن هنا أرجوا أن أكون قد وفقت في دراسة هذا الموضوع والإلمام بجوانبه ورغم اجتهادي للإلمام به و اتقانه إلا أنني على يقين بوجود بعض النقائص، لذا فأنا مستعدة لتقبل النقد الذي يوجه من سيادتكم لأن الكمال لله والعصمة للأنبياء.

وعزائي في ذلك القول "من اجتهد أصاب فله أجران، ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد"

الفصل الأول

الفصل الأول:

الوضعية العامة للتعليم بالجزائر ما بين 1830و1880.

المبحث الأول: حالة التعليم العربي الاسلامي في الجزائر عند بداية الاحتلال

لقد كان التعليم العربي الاسلامي على العموم مزدهرا سنة 1830 وهو يتألف من مستويات التعليم الثلاثة المعروفة اليوم وهي الابتدائي والثانوي والعالي مجانا، أما الابتدائي فكان بأجر اختياري ضعيف، ولم تكن هذه الأطوار التعلمية الثلاثة تتلقى أي مساعدة من الدولة الجزائرية، فقد كان تعليم عربيا حرا خالصا[1]، والمعلمين كانوا أحرارا فهم لا يخضعون لأي ترقية، كما كانت المدارس كثيرة ورواتب المعلمين مضمونة من مداخيل المساجد، كما أنه كانت هذه المدارس متصلة بالمساجد غالبا بإشراف من وكلاء الشؤون الدينية، وهي تتغذى من أملاك الأوقاف الخيرية[2].

وكانت المدارس والمعاهد والزوايا[3] المنتشرة في مختلف نواحي الجزائر دليل قاطع على أن الحياة الفكرية والثقافية كانت مزدهرة، وهذه الحالة قد عبر عنها الرحالة الألماني "فيلم شيهبرا" حين زار الجزائر في شهر ديسمبر 1831م حيث قال:" لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه في حين وجدت ذلك في بلدان جنوب أروبا فلم يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب"[4]

---

[1]--التعليم العربي الحر: هو التعليم الدي يجري با اللغة العربية في مدارس تابعة للافراد او لمنظمات شعبية،ويقدم الشعب تاييدا وتمويلا،ولايخضع لادارة الاحتلال.للمزيد انظر =رابح تركي،التعليم القومي و الشخصية الوطنية،الشركة الوطنيةللنشر والتوزيع،الجزائر،1957م،ص،17.

[2]-ابو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ،ط1،دارالمغربالاسلامي،ج3،بيروت،1998م،ص،22.*

[3]-الزوايا=هيمركز مشايخ الطرق الصوفية،في الجزائر والمغرب الاسلامي عامة،ويعتبر التعليم العربي الديني احدى وضائفها الاساسية الى جانب العبادات والأذكار الصوفية.للمزيد انظر=تركي رابح،مرجع سابق،ص،170.

[4]– توفيق مزاري عبد الصمد،ملتقى حول اهمية الاصلاح وعوامله،المدرسة العليا للاداب والعلوم الانسانية،(بوزريعة)،الجزائر،منشورات البناء الحضاري بالمغرب الاوسط،الجزائر الى نهاية العهد العثماني،الجزائر،14 15فيفري،2009،ص87.

ولكن منذ الاحتلال دخلت أملاك الأوقاف الخيرية ضمن أملاك الدولة الفرنسية، وبذلك أهملت المدارس العربية الاسلامية، كما توقف التعليم الابتدائي والثانوي، ولم يبقى بذلك الا بعض الزوايا البعيدة والمعزولة حيث الدروس العليا، كما اختفت جميع المدارس ولم تبقى منها بعد سنة 1846م سوى واحدة، وكل هذه الزوايا كانت تصونها وتديرها مديرية الأوقاف[1].

لكن سلطات الاحتلال قامت بمصادرتها، وكذلك لم يبقى من المدارس القديمة الا عدد ضئيل وأصبح التعليم الباقي منها ناقصا واختفت الكثير من المدارس التي تعرضت في أغلبها الى الهدم والتحويل عن الفرض الأصلي[2]

وبهذا اعترف أحد المسؤولين الفرنسيين بحقيقة التدمير الذي تعرضت له المؤسسات الدينية العلمية وذلك عندما وقف النائب الفرنسي(تانغ فيل) عام 1847 محتجا على سياسة حكومته ومما قاله بهذا الصدد فقال:" ان المجتمع الجزائري لم يكن غير متمدن ما كانت مدنيته الا متأخرة وناقصة....وكان يحتوي على عدد كبير من المؤسسات الدينية مهمتها البر والإحسان ونشر التعليم في جميع أنحاء الجزائر، وقد استحوذنا على مداخلها وحرفنا أهدافها وقضينا على الجمعيات الخيرية والمدارس، فحطمنا دعائم العرفان وشتتنا شمل الزوايا....ولقد انطفأت في الجزائر مشاعل العلم وأهملنا العلماء والفقهاء المسلمين، فصاروا قوما بورا، وقذفنا المسلمين في البؤس والجوع، فأصبحوا ينادون وبلا وثبورا ثم رميناهم في حالة أكثر همجية مما كانوا عليه، فسخط سخطا كبيرا"[3]

فقد بدأت فرنسا منذ الغزو تحارب الثقافة العربية الاسلامية بمصادرة الأوقاف وإغلاق الكثير من المدارس الابتدائية والثانوية والعالية التي كانت موجودة سنة1830م، وكانت فرنسا

1-سعد الله،مرجع سابق،الجزء الثالث،ص22.

2- نفسه،ص23.

3- فرحات عباس: ليل الاستعمار، تر:فيصل الأحمر، د.د، الجزائر ،ص ص 104 105.

لا تسمح بفتح مدرسة قرآنية إلا بشروط مهينة تنتهي بأن تجعل هذا التعليم في خدمة خطتها الاستعمارية[1].

فقد كان لهذه الأسباب دور كبير في اختفاء التعليم العربي الاسلامي إضافة الى ما خلفته الحرب من هجرة الأساتذة الى المناطق الداخلية التي لم تكن تخضع بعد لسيطرة فرنسا، وظل من بقي محروما من الهجرة والسكن وساءت أحوالهم المادية واكتفوا بأداء المهام المرتبطة بالشعائر الدينية، كما أدت الحرب الى بعثرة المخطوطات والمراجع القاعدية للتعليم، ومهما بلغ المستوى التعليمي في عهد الاحتلال فيبقى الاعتراف بأن تراجع التعليم كان مهولا في سنوات 1846-1848 ولقد فاتت عن جيل كامل فرصة تلقي التعليم القرآني فقد تراجع في قسنطينة مثلا عدد الطلبة من 600 الى60 طالب وعدد المساجد من 86الى 30.[2]

وهذا يعود لانعدام وجود الاستقرار والأمن في البلاد فنتيجة الحروب العسكرية طرحت الحكومة الفرنسية هذا الموضوع جانبا لانشغالها بإخضاع الشعب الجزائري الذي رفض وجودها، وبالإضافة الى أن جهود الحكومة الفرنسية في هذا المجال لم تكن جدية أو معتبرة بل كانت معدومة تقريبا[3].

ففي سنه1833 م فتحت مدرستان سميت بمدارس التعليم المتبادل واحدة في وهران والثانية في عنابة، أما أول مدرسة أنشئت لتعليم الجزائريين باللغة الفرنسية هي المدرسة الابتدائية التي سميت بالمدرسة العربية الفرنسية وفي سنه1836 م بمدينة الجزائر بالذكور، وكان الفرض من هذه المدرسة تقريب الجزائريين من الأوروبيين قصد تحضيرهم للإدماج و تم تأسيس أول مدرسة للبنات في الجزائر العاصمة 1845م، وعلى غرار المدارس الخاصة

---

[1]- محمد طهاري: الحركات الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، الكتاب الثالث، ط1،شركة دار الأمة، 1999، الجزائر،ص6.

[2]- شارل روبير آجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج1، تر: فرحات المسعودي، أ، بكلي،دار الرائد للكتاب،2007، الجزائر،ص582.

[3]- عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2010،ص38.

بالأطفال فتحت أول مدرسة للجزائريين الكبار في1837 م بالغة الفرنسية للذين يشتغلون في الخدمات والإدارات الفرنسية وكان عدد التلاميذ الجزائريين في 1844م حوالي سبعة تلاميذ مقابل مئة تلميذ أوروبي[1].

وعلى ذكر اللغة فيجب أن نوضح بأن من بين الأهداف الرئيسية التي سطرتها الادارة الاستعمارية على غرار الادماج هي الفرنسية(فرنسة الجزائريين) وذلك بدءا من اعتبار اللغة الفرنسية هي الأم واللغة الرسمية، أما اللغة العربية فهي أجنبية.

فقد جاء في تقرير رسمي 1849:" لا ننسى أن لغتنا هي اللغة الحاكمة فان قضائنا المدني والعقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة، وبهذه اللغة يجب أن تصدر بأعظم ما يمكن بسرعة جميع البلاغات الرسمية، وبها نكتب جميع العقود، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا، فان أهم الأمور التي يجب أن يعتني بها قبل كل شيء هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة عامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم الينا وتمثيلهم بنا وادماجهم فينا وجعلهم فرنسيين.[2]

ولم تكتف الادارة الاستعمارية بفرض اللغة الفرنسية في التعليم والادارة، بل ذهبت أبعد من ذلك حيث طلبت من الأعيان والطبقة البرجوازية أن يرسلوا أبنائهم الى فرنسا وذلك لحسن التعليم والتحصيل من المنبع الأصلي للغة ولإثبات حسن النية في الارتباط بالوطن الأم[3]

الا أن هذه المحاولة باءت بالفشل من خلال رفض الجزائريين بالذهاب الى فرنسا وبذكر أن لم تعثر السلطات الفرنسية حينها على زعيم جزائري يقبل ارسال ابنه الى المعهد الذي تأسس في باريس في1839/05/11. لقد أجاب أحد أعيان الجزائر أحد أعضاء السلطات الفرنسية عندما طلب منه ايفاد أبنائهم الى باريس

---

[1]- عبد القادر حلوش، مرجع سابق،ص 39.

[2]- رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1935ه-1975م، ص108.

[3]- كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر، التأسيس والتطور 1850-1951،قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، السنة2007-2008، مذكرة انيل شهادة ماجستر في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر،ص33.

يقول: "يكفي أن أطفالنا يعرفون أداء الصلاة وركوب الخيل واستعمال والأسلحة". [1]

المبحث الثاني: واقع التعليم في الجزائر في ظل التشريعات الفرنسية1850-1880

1-انشاء المدارس العربية الفرنسية:

ان تعليم الجزائريين أو ما نسميه بالسياسة التعليمية الفرنسية لم يصبح موضوعا للدراسة والعناية إلا بعد 1850 فنتيجة الحروب العسكرية طرحت الحكومة الفرنسية هذا الموضوع جانبا لانشغالها بإخضاع الشعب الجزائري الذي رفض وجودها، وجهود الحكومة الفرنسية لتعليم الجزائريين كانت شبه معدومة تقريبا، ففي بدايات الاحتلال رأينا أن التعليم كان يقوم أساسا على الأفراد أي على الجزائريين أنفسهم دون تدخل السلطات الفرنسية إلا أن هذا الوضع تغير منذ سنة1850 م وهو التاريخ الحقيقي لفتح المدارس الفرنسية للجزائريين.[2]

بعدما بسط الاستعمار نفوذه على الجزائر فكر في تنظيم التعليم الفرنسي للأهالي، وبذلك صرح وزير الحربية الجنرال ثرام من باريس قوله: " ان الظروف الحالية وبعد حرب دامت 17سنة فانه يتعين على فرنسا القيام برسالتها الحضارية وارساء قواعد التعليم الفرنسي في الجزائر"[3]

وبذلك أنشئت المدارس العربية الفرنسية في عهد الجمهورية الثانية (1848-1852) بمرسوم رئاسي في1850/07/14 هي مدارس ابتدائية أين تدرس اللغة الفرنسية والعربية، تتألف من المدير الفرنسي ونائب مسلم(ممرن)، يتعلم فيها الأطفال القرآن والقراءة والكتابة في كتب موضوعة تحت الرقابة الاستعمارية بالإضافة الى دراسة المفاهيم الحسابية وبعض المواد مثل التاريخ والجغرافيا، الرسم، كما كانت تكون فرق موسيقية للأغاني الوطنية تعن كل يوم من طرف هؤلاء الأطفال المتمدرسين[4]

---

[1]- عبد القادر حلوش، مرجع سابق ص48.

[2]- حلوش، مرجع سابق،ص50.

[3]- خليل، مرجع سلبق، ص35.

[4]- كمال، مرجع سابق، ص54.

وكانت هذه المدارس موجهة للذكور والاناث فقد أنشئت هذه المدارس من أجل الفتيات المسلمات لتعليم الخياطة، القراءة، الكتابة وأكثر من الطابع التثقيفي حيث بين ذلك أحد الفرنسيين بتوضيحه لهدف انشاء هذا النوع من المدارس في 1861 قوله:" ان الغرض من نشر التعليم الفرنسي بين الجزائريين عن طريق المدارس المختلطة العربية–الفرنسية، هو القضاء على المدارس العربية الاسلامية الخاصة والحرة".[1]

غير أن سياسة هذه المدارس المختلطة لم يكتب لها النجاح لمعارضة البلديات لها وخاصة بعد أن أشرفت تحت اشرافها الاداري ومتكفلة بنفقتها المالية وقد كان رفض الأوروبيين لهذه الفكرة واضحا من خلال انتقادهم بشدة للمجهود المعتبر الذي بذل لإنشاء مدرسة عربية فرنسية، وعندما اسندت مهمة التكفل المالي والصيانة الخاصة بالمدارس العربية الفرنسية الى البلديات فانهم لم يتأخروا في اغلاقها، والحال أن هذه المدارس ظلت حتى سنة1870م في معظمها بين أيدي اخوة المدارس المسيحية أو أعضاء المسلمين الذين ألحقوا بها توقفوا عن الدراسة فيها.[2]

ولم تكن البلديات تعير اهتماما لتعليم وتثقيف الجزائريين فتوقف عن تقديم القروض لدفع أجور المدرسين الجزائريين ففي:1865/05/11م صدر مرسوم حكومي نص على وضع المدارس العربية الفرنسية تحت مسؤولية البلديات في المناطق المدنية وأدرجت في الحساب الاضافي من الضريبة العربية في المناطق العسكرية وامتنعت البلديات عن تقديم القروض للعناية بهذه المدارس بدعوى امكانية الالتحاق بالمدارس المختلطة أو الأهلية.

---

[1]– حلوش، مرجع سابق، ص54.

[2]– شارل روبير وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 الى اندلاع حرب التحرير1954، تر:عياش سلمان، مج 2،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2010، الجزائر،ص243.

غير أن هذه المدارس الأخيرة لاقت رفضا واضحا من التلاميذ الجزائريين بسبب اشراف المدرسين الدينيين الفرنسيين على هذه المدارس.[1]

ونتيجة لهذا فقد راحت المدارس العربية الفرنسية نحو الاندثار بسبب توسع النفوذ المدني واصرار الاوروبيين على موقفهم ويتضح هذا فيما لاحظه ياكونوyacono قائلا: "المدارس العربية الثلاثة الموجودة في منطقة أورليان فيل(الأصنام) والتي أسستها*[2] المكاتب العربية (الحكم العسكري) نزل عدد تلامذتها الى الصفر سنة1869 بعد أن كان هذا العدد 110 تلميذ، وذلك عندما أصبحت القبائل تحت سلطة القضاء المدني أما العامل الثاني في فشل هاته المدارس هو رفض الجزائريين لها بسبب أهداف السياسة التعليمية الفرنسية ازاء الجزائريين والمتمثلة في الادماج ومحاولة ربطهم بمصير الأمة الأوروبية، وخوفا من تأثيرها على شخصيتهم خاصة لافتقارها الى المدرسين الجزائريين.

وبالرغم من طابع هذه المدارس النصف العربي والتي حاولت أن تعطي تعليما ابتدائيا دينيا ومجانا، ظل رفض التلاميذ الجزائريين واضحا، حتى أن بعضهم اعتبرها صورة هزيلة للمدرسة القرآنية.[3] وأمتد هذا التأثير إلى المتعلمين الجزائريين من خلال كراهية المدارس الفرنسية "فقد كان التلاميذ الجزائريون ينظرون الى المدارس الفرنسية بعين العداوة والخوف فبدت لهم رهيبة مظلمة".[4]

---

[1]– حلوش، مرجع سابق، ص 55.

[2]– المكاتب العربية:عرف فرديناند هيقونين أحد رؤساء تلك المكاتب: المكتب العربي بقوله: هو حلقة وصل مابين الجنس الأوروبي الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ عام 1830، والجنس الاهلي الذي يقطن بالبلاد ولايزال الى الآن...وتتلخص أهدافه في التمكين والإستعمار والعمل على اخضاع القبائل للسلطة الاستعمارية....للمزيد أنظر= صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء ترف البلاد1844-1871، منشورات جامعة باجي، عنابة،2006،ص195.

[3]– حلوش، مرجع سابق،ص 55.

[4]– محمد علي دبوز: ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة،ط1،ج2،(د.ت) ،ص11.

ثانيا: وضعية التعليم في الجزائر في ظل الحكم المدني 1869-1880.

عندما قامت الجمهورية الثالثة وجدت الجزائر مزودة بنظام تعليمي جاهز وخلال الفترة الممتدة ما بين1848-1870 تبلورت سياسة تعليمية قائمة عللا نظرية تربوية ومناهج تعليمية موجهة للأهالي خصيصا وكان قد شرع في تطبيقها، ففي هذا المجال دشن عهد الامبراطورية الثانية سياسة جريئة وليبرالية في مجال تعليم المسلمين الا أن المستوطنين تنكروا لها ونبذوها في الفترة الممتدة ما بين 1871مالى1891م وكان على البلد الأم صياغتها من جديد وفرضها تدريجيا على المستوطنين.[1] ففي سنة1870م عندما ظهرت حاجة المستوطنين الى الأيدي العاملة المهنية والفنية، قررت الحكومة الفرنسية توجيه طلاب المعاهد العربية الفرنسية الى أعمال الفلاحة والصناعة وقد كان من الواضح أن تركز السلطات الفرنسية في معاهدها على الجانب الفرنسي أكثر من العربي في البرامج التعليمية مدعمة هذا القول أنه من الصعب ايجاد مدرسي اللغة العربية لتلبية مطالب التلاميذ، وكانت برامجها تابعة لبرامج فرنسا.

وتحتل اللغة العربية فيها مكانة ضعيفة جدا بل هي لغة اختيارية غير رسمية وكانت الادارة تختار مدرسين لتعليم الدين الاسلامي لمن يطلب ذلك من التلاميذ مع دفع ثمن الساعات المدرسة، وهؤلاء المدرسين من اختيار الادارة الفرنسية في المساجد، هم الذين يقومون بالتدريس العربي الإسلامي وبذلك كانت هذه المعاهد عربية الشكل أوروبية المضمون.[2]

غير أن هذه المعاهد لم تستمر في البقاء نتيجة معارضة الأوروبيين الشديدة فقد طالب هؤلاء مرارا بإلغاء هذه المعاهد وبتحويل التلاميذ الجزائريين من معهد الجزائر الى الثانويات الفرنسية حتى لايتكون هؤلاء الجزائريون بعيدا عن التأثير والنفوذ الفرنسيين في معاهد خاصة بهم، وفي حين آخر طالبت فئة أخرى من المتشددون بإلغائها نهائيا بحجة ارتفاع نفقتها المالية، الا أن

---

[1]- شارل روبيرو أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا،1871-1919، نقله الى العربية أ جاج مسعودي أ بكلي،ج1،دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007،ص581.

[2]- حلوش، مرجع سابق، ص ص 57 58.

الحاكم العام ماكمهون رفض الرضوح لمطالب الأوروبيين وأصر على تعليم الجزائريين في معاهد خاصة بهم من غير ادماجهم في الثانوية الفرنسية مع الأوروبيين والهدف من هذا هو تفادي دراية أولياء التلاميذ بالنظام الداخلي للمعاهد العربية الفرنسية لأنهم لم يكونوا أحيانا يقبلون به فكان هذا التفادي شكوك أولياء التلاميذ من الطابع الفرنسي، ولما جاء الحاكم العام المدني دوفيدون(l'amirale de-gueydon)"وضع حدا لهذه المعاهد بعد1870م فألغى معهد الجزائر وألحق بثانوية الجزائر العامة وكان هذا لإرضاء مطالب الأوروبيين".[1]

ونتيجة للمداومة التي جرت في مجلس أكاديمية الجزائر في1871/08/04م قدم هذا الأخير اعترافا للوالي العام الجديد "دي قايدون" يقضي بضم المعهدين الجزائريين للثانوية الفرنسية وفي1871/10/23م، أصدر الوالي قرارا يقضي بذلك، كما ألحقت 14مدرسة عربية فرنسية الموروثة عن الفترة السابقة بأكاديمية الجزائر وأدمجت في مدارس التعليم العام ومناهجه، وفي 1876/02/16م أصدر الوالي العام قرارا ينص على ادخال بعض التحسينات على وضعية المدارس الاسلامية الثلاث « la medersa » .

ان هذه الاجراءات التي طبقت في عهد الجمهورية الثالثة جعلت عدد التلاميذ الجزائريين ينخفض في الطور الابتدائي والثانوي على سواء.[2]

لقد بدأ مستوى التعليم ينخفض منذ1870 م حيث "أوقفت الاعتماد لبناء مدارس جديدة، كما حرمت معظم المدارس من اعانتها التي كانت تمنحها اياها المجالس المحلية المشرفة عليها"[3].

---

[1]- حلوش، مرجع سابق ،ص59.

[2]- قنان جمال: التعليم الأهلي في الجزائر1830-1994، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2007،ص 96.

[3]- يحي بوعزيز: سياسة التسلط الإستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من1830-1951، ط.خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص165.

بعد أن تنكرت الجمهورية الثالثة طيلة عشر سنوات للجزائريين 1870-1880م وأهملت متعمدة تعليمهم ظهرت مجموعة من الشخصيات الفرنسية التي أمدت نوعا من الاهتمام لمسألة التعليم الاهلي من بينهم جول فيري « jules ferry » الذي أصبح وزيرا للتعليم سنة1879م.

وقد اعتبر بعض المؤرخين مثل علي مراد أن سنة1880م تعتبر انطلاقة التعليم الأهلي فنتيجة للتقارير التي وصلت الى "جول فيري"، والتي تصف فيها انهيار التعليم وسوء أوضاعه في فترة السبعينات بالإضافة الى الرقابة الشديدة على التعليم الاسلامي في الزوايا والمساجد فقد صدرت بعدها قوانين خدمت الجزائريين وأبناء الجزائريين في مجال التعليم، ولكن في حدود منفعة الاستعمار وأوروبي المستعمرة.[1]

لقد تعددت أهداف السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر المتمثلة في التجنيس والإدماج والفرنسة والتنصير....الخ وحاولت فرنسا تحقيق الادماج بمختلف الطرق والوسائل لطمس الشخصية الجزائرية والهوية العربية الاسلامية والقضاء على مبادئها الا أنها ساهمت في خلق أو تكوين فئة أخرى سواءا خططت لهذا أو لم تفعل وهي ما يطلق عليها ب"جماعة النخبة" فقد كان من أبرز نتائج السياسة التعليمية الفرنسية هي خلق طبقة مثقفة كانت تعتبرها بمثابة وسيط بينها وبين الشعب الجزائري.

حيث أن فرنسا كانت ترى أنه من الأفضل تشجيع نخبة عصرية في صفوف الأهالي، وبما أن تلك النخبة كانت معجبة بالحضارة الفرنسية فإنها تتكون الدليل الهادي للجماهير الصامدة أمام اغراءات الفرنسة، فلقد تبين هذا الرأي الكثير من المفكرين في الوطن الأم، خصوصا أولئك الذين لم يكونوا يرو أي تناقض بين مصالح فرنسا ومصالح الأهالي.[2]

---

[1]- مدني حسين: التعليم الرسمي الفرنسي في الجزائر 1884-1914، الغرب الجزائري نموذجا قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، مذكرة لنيل شهادة ماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر،2012-2013،ص 25.

[2]- غي بريفيلي: النخبة الجزائرية الفرانكفونية1880-1962، تر: م حاج مسعود، أ.بكلي،ع بلعريبي، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007،ص 119.

الفصل الثانـي

الفصل الثاني:

بروز النخبة المثقفة الجزائرية

المبحث الأول: مفهوم النخبة الاصلاحية الجزائرية.

رغم الحصار الذي فرضته فرنسا على الجزائر لعزلها عن بقية الأقطار الاسلامية وامتدادها الحضاري فانه مع اطلالة القرن العشرين بدأت الجزائر تعيش حركة فكرية شبه متواصلة مع الأقطار الاسلامية سواء عن طريق الطلبة الذين أرسلوا للدراسة في جامع الزيتونة والأزهر والجامعات الاسلامية الأخرى والذين حاولوا احياء الشعلة التي أخمدها الاستعمار في نفوس الآمة أو عن طريق الدعوات الاصلاحية التي قامت في البلاد الاسلامي مثل دعوة محمد عبده التي تركت أثرا بالغا في الجزائر في شتى النواحي والمجالات وخاصة الثقافية، أو عن طريق الاصلاحات الفردية التي قام بها في الجزائر بعض العلماء المتحمسين والمتفاعلين مع حركة الاصلاح الاسلامي وهم الذين نعني بعم أو نسميهم "بالنخبة".

–ويقصد بجماعة النخبة (L'élite)أو المثقفين(intellectuels) أو المتطورين(Evolues) وهي أسماء رافقت كلمة النخبة، من تعلموا في المدارس الفرنسية وتأثروا بالثقافة الأوروبية وانبهروا بمظاهرها وتقاليدها وافتقروا بعظمة فرنسا وقوتها واعتبارها صاحبة الحق الشرعي في الجزائر وهذا خلافا للنخبة التقليدية التي حافظت على انتمائها الحضاري واستمرت في اتصالها مع المدارس العربية الإسلامية وبذلك أصبح المتفرنسون هم المدافعون عن فرنسا في الجزائر، والمتحمسين الأوائل لفكرة الادماج[1].

مع دعاته الأصليين عن الجمهوريين اضافة الى ذلك ارتموا في أحضان الحضارة الفرنسية وأنكروا أو تجاهلوا حضارتهم العربية الاسلامية بمطالبهم بالتجنس بالجنسية الفرنسية حتى

[1]حلوش ،مرجع سابق،ص251.

يصبحوا في مصاف الفرنسيين والأوروبيين أنفسهم من حيث الوضع الاجتماعي والسياسي، بل إن بعضهم قد بلغ به التطرف الى حد انكار وجود شخصية جزائرية قائمة بحد ذاتها.[1]2

وكانت تسمى أيضا: "بالليبراليين"، أي الذين تخرجوا من المدرسة الفرنسية وكان في صفوفها أطباء ومحامين وقضاة وصحفيين ومترجمين وتبنت هذه الكتلة الأفكار الغربية كالحداثة والحرية والجمهورية والمساواة، واعتبرت المحافظين مجموعة من الرجعيين الرافضين للتقدم ومسايرة التطور.[2]

وعرفها أحد أعضائها "الشريف بن حبيلس "[3]بمايلي: "أنها ثريات الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يصفوا أنفسهم في مصاف ناثري الحضارة الحقيقيين وسماهم المؤرخ الفرنسي "لوري بوليو" (الجزائريين المتأروبيين) .

وأن هذه الجماعة لم تتبنى أفكار الغرب ووسائل عيشه وطريقته في العمل وثقافته وتعليمه فقط بل أرادوا أيضا أن يحولوا المجتمع الجزائري الى مجتمع أوروبي، فأضاعوا لفتهم، عاداتهم، واحترام وصداقة مجتمعهم، وأدوار وجوههم نحو الحياة الأوروبية[4].

---

[1]- عبد القادر حلوش مرجع ،ص251.

[2]– عبد النور خيثر: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية1830–1654، ط4،(بئر رايس)، الجزائر،2010،ص 241.

3 –الشريف بن حبيلسي: هو أحد الأعضاء الأكثر تأثيرا ضمن حركة الشبان الجزائريين وقد كان عضوا بارزا في نادي صالح باي بقسنطينة، أنظر خولة بدرنية، اسهامات النخبة الجزائرية الثقافية، محمد بن أبي شنب نموذجا 1869–1919، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر للعلوم الإنسانية،بسكرة،الجزائر،2012–2013،ص 30.

[4]– محمد بلعباس : تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعاصرة، الجزائر،2009،ص15.

ويرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن مفهوم النخبة لم يضبط بين الكتاب حيث يعتبرها البعض منهم أنها فئة تائهة بين الحضارتين المختلفتين.[1]

وينطبق هذا الأمر على فرحات عباس الذي بعد استمرارية لفئة النخبة التي احتك بها من خلال فيديرالية المنتخبين، وقد أثرت فيه المدرسة الفرنسية مما جعله يحمل فيما بعد الأفكار التي تعلمها في المرحلة الابتدائية، فغرست المدرسة فيه محاسن الحضارة الفرنسية والتسامح وأججت فيه حب فرنسا والارتباط بها.

حيث يقول فرحات عباس في افتتاحية جديدة التفاهم (Lentent) " ان نخب الأهالي وجدت في الكتابات المدرسية الكلمات المعبرة كالعدالة والمساواة والأخوة وفرنسا والأمة والوطن"[2].

ونجد أيضا شهادة أحمد بومنجل المتخرج من المدرسة الفرنسية التي أثرت فيه، حيث يقول: "كان التعليم الفرنسي يركز على تدريس تاريخ وجغرافيا فرنسا وقليلا من ذلك المتعلق بالجزائر، فكانوا يعلموننا انتصارات فرنسا مما خلق نوعا من مركب النقص لدى الجزائريين، وبشكل يجعل الطفل الأندجيني يندم على كونه أندجيني ،لاكتشافه الطفل الفرنسي المهيمن، وكذا مجتمع المعمرين المهيمن، ولما يصبح (هذا الأندجيني) معلما يتمثل هدفه في تجسيد الاندماج بغرض الوصول الى المجتمع المهيمن.[3]

فالمثقفين الجزائريين بفرنسا هم نتاج الأسلوب المدرسي الكولونيالي وما التحفهم بأرض المتروبول (فرنسا) الا نتيجة صراعات فكرية جزائرية استعمارية.[4]

---

[1]– محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر، دراسات ووثائق جديدة تنشر لأول مرة دط، دار ابن كثير، بيروت، 2001،ص122.

[1]-يونس حميطوش،المدرسة الفرنسية ودورها في تكوين النخب،مجلة المصادر،المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر،1954،العدد16،السنة 2007،ص174.

[3]-نفسه،ص174.

[4]-اجرون،مرجع سابق،ص883.

ولم تكن النخبة التسمية الوحيدة فهناك من سماهم العمامات الشابة تميزا عن العمامات البيض وكذلك "الشبان الجزائريون.[1]" والبعض أطلق عليهم اسم "أنتلجنسيا"[2].

كما عرفها علي مراد بأنها جماعة ممن يحسنون اللغتين وينتمون الى الطبقة المثقفة أي تلك الجماعة التي درست كلا من الحضارة العربية والفرنسية[3]

ويعرفهم Albuirejet وهو أحد الكتاب الفرنسيين أن من تمام مصلحتنا أن ننشأ منهم أي (الأهالي) نخبة مفكرة قادرة على نشر أفكارنا ومبادئنا حول العدالة والتقدم نخبة برجوازية محافظة ووفية بالتزامها ازائنا كما قدرت المسافة التي تقطعها تحت سيطرتنا والفوائد التي تبينها من ذلك".[4]

ولم كاد يجمع الكثير من الكتاب على أن النخبة كانت بطيئة الظهور ترجع الى أواخر القرن التاسع، حيث يعتبر أفرادها أنفسهم أقلية ممتازة منفصلة عن المجتمع الذي يتكون من أغلبية جاهلة من فلاحين، مرابطين، وعلماء رجعيين وأعيان، لكن هذه النخبة تتكون من المترجمين، المحامين، الأطباء.....،ويذلك حدث الخلط بين الفئة الأولى التي تعتبر فئة برجوازية أو الوسطى بينما تدل الثانية على الجماعة ذات الثقافة الفرنسية لذا وجب علينا تصنيفها وتبيان اتجاه كل من الجهتين[5]

المبحث الثاني: اتجاهها وأعلامها ووسائلها.

أ- اتجاهها:

[4]- الطاهر العمري،النخبة الوطنيةالجزائرية ومشروع المجتمع(1900-1940)مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر،جامعة الامير عبد القادرللعلوم الانسانية،قسنطينة،الجزائر،2003-2004،ص 230.

[5]-انتلجاسيا=تعبير روسي اطلق على الطبقة المثقفة المستنيرة،وهو لفظ استخدمفي اواخر القرن التاسع عشر،للمزيج انظر=زيد الدين بوزيد،الاصول الاجتماعية و المرجعية الفكرية للنخبة المثقفة الجزائرية(1900-1930)،مذكرة لنيل شهادة ماجستر في علم الاجتماع و التنمية ،جامعة منتوري قسنطينة،الجزائر،2001-2000،ص69.

[3]- حلوش: مرجع سابق،ص252.

[4]- آجرون: مرجع سابق،ص 554.

[5]- خليل: مرجع سابق،ص ص 123 124.

لقد اختلف الكثير من المؤرخين في اتجاه النخبة الجزائرية غير أن هناك من قسمها الى قسمين ومن بين هذه التقسيمات:

1-النخبة المحافظة: أو كتلة المحافظين التي تكونت من مجموعة من العلماء وزعماء الطرق وبعض الأعيان تميزت بمعارضتها الشديدة للتيار الليبرالي وخاصة فيما يتعلق بفكرة التجنيس والادماج والتغريب[1]

كان ينادي بعضهم بالتقدم والتسامح والتعليم وكانوا الأعداء الألداء لفكرة الخدمة العسكرية تحت العلم الفرنسي والتجنيد على الطريقة الغربية ومتحمسين للوطنية بشكلها القديم.[2]

فقد عارضت هذه الفئة التقليدية التجنيد على الطريقة الأوروبية أي الفرنسة التي تحمس لها زملائهم من النخبة الليبرالية كما أن جماعة النخبة التقليدية تكونت في المدارس القرآنية والمدارس العربية الفرنسية والمدارس الاسلامية الحكومية وكذلك في بعض المدارس والمساجد والجامعات خارج القطر الجزائري أي في كل من المغرب وتونس والمشرق العربي عموما.

ولكنهم في المقابل كانوا ضد التطرف والثورة ضد الاحتلال لاعتقادهم بأنه ليس من السهل أن تهزم فرنسا.[3]

فقد تميزت هذه الفئة المحافظة بالحفاظ والدفاع عن الهوية والشخصية العربية الاسلامية للشعب الجزائري والتمسك بمبادئها ومن أبرز أعلامها عبد القادر المجاوي والهادي أما الاتجاه الثاني فيتمثل في:

2-النخبة المجددة:

---

[1]- بلعباس: مرجع سابق، ص141.

[2]- خيثر: مرجع سابق،ص 51.

[3]- حلوش: مرجع سابق،ص 213.

فهذه الفئة رغم أنها نخبة مصلحة لما في النخبة الأولى الا أنها رحبت بالتغيير والتجديد في اطار النمط الغربي الأوروبي لتطوير الشعب الجزائري وتحويله الى مجتمع غربي أوروبي يتكلم الفرنسية وغير معارض للإدماج من أبرز أعلام هذا الاتجاه : (أحمد بوضربة).

ب-وسائلها:

لقد استعملت النخبة الجزائرية وسائل مختلفة للدفاع عن أفكارها وتحقيق مطالبها في مطلع القرن العشرين فقد اهتمت بانشغالات الناس وأفكارهم وجسدت ذلك عن طريق الكتابة في الصحافة والقاء الدروس والمحاضرات والتجمعات والنوادي من أجل النهوض بالشعب الجزائري نحو التقدم والرقي والسعي لتحقيق الاتصال بالعالم الخارجي والتعرف على الثقافات الأخرى.

أولا:الصحافة:

تعتبر هذه الوسيلة من أهم الأسباب والعوامل التي ساعدت على اتساع الحركة الاصلاحية فان بعض العلماء الجزائريين المصلحين قدروا أهمية الصحافة في ايقاظ الشعوب وحماية النهضة وفي رد المعتمدين وقمع الظالمين، وفي فضح المستعمرين فسارعوا الى انشاء الصحف فدعوا فيها الى نبذ الخرافات والبدع المفسدة للدين والى التربية والتعليم والى الاتحاد والتآزر والى الأخذ من الحضارة أوروبا بكل حسن نافع والى كل ما يرضى الأمة في كل نواحيها ونفخوا روحهم في الأمة فازدادت يقظة وجرأة على الاستعمار وثقة بالنفس[1]

ووجد المصلحون في كل أنحاء الجزائر وسيلتهم للاتصال بالأمة فأقروا في أعماقها وكان للصحافة الجزائرية المخلصة أعظم النفع للأمة والأثر العظيم في نهضتنا لولاها لتعثرت وقصرت خطاها وكانت أول صحيفة جزائرية هي:[2]

---

[1]- **علي دبوز، مرجع سابق، ص13.**

[2]-**دبوز ، مرجع سابق، ص: 13.**

أ-**جريدة الحق:** كانت أول تجربة انطلق منها الشبان الجزائريون في ميدان الصحافة بمدينة عنابة سنة1893-1894 وهي جريدة كما جاء في تعريفها "جريدة أهلية هدفها الدفاع عن مصالح الأهالي المسلمين"، أسستها نخبة نشطة من مدينة عنابة هم "سليمان نبقي" "عمر سمار" "خليل قايد لقبون" غير أن هذه الصحيفة لم تعمر طويلا حيث اختلفت بعد سنة واحدة من صدورها 1894

ب-جريدة المصباح: أما الصحيفة الثانية في مسار الحركة الشبان فهي جريدة" المصباح" التي تأسست في وهران1904 من قبل الأخوين "علي" و"العربي فخار" و"المصباح" جريدة أسبوعية مزدوجة اللغة جعلت شعارها من أجل العرب بواسطة فرنسا ومن أحل فرنسا بواسطة العرب" ومعنى هذا الشعار أنها تريد الادماج لكنها لم تعمر طويلا" بدورها بسبب ضعف الاقبال عليها مثل سابقتها الحق.[1]

ج-جريدة الإسلام ظهرت صحيفة الاسلام سنة 1901 في مدينة عنابة لصاحبها "طبيبال عبد العزيز" وهي جريدة أهلية كما جاء في صدور صفحتها الأولى لقد صحيفة حركة الشبان الجزائريين يحق لأنها كانت تترجم مشاعر الشبان وتنشر مبادئهم وبرنامجهم وقد كانت هذه الجريدة من أبرز الصحف الأهلية في حركة الشبان الجزائريين والفرنسيين المتعاطفين مع الأهالي.[2]

د-جريدة الراشدي: تعتبر من الجرائد الحسنة للشبان الجزائريون نشأت في جيجيل في سنة1909 وكانت حارة شجاعة مخلصة وبالاضافة الى جريدة الاسلام صدرت مزدوجة ثم صارت فرنسية محضة أسبوعية للوطني الغيور المجاهد" الأستاذ الصادق" نشأت في

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبدو وعبد الحميد بن باديس نموذجا، د ط، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2005، ص164.

[2]- بوصفصاف : مرجع سابق، ص ص 164 165.

عنابة1912-1914 وكانت حارة اللهجة تناضل في قوة عن حقوق الشعب[1]، كسابقتها "الراشدي" التي كانت تدافع عن حقوق الأهالي ويظهر هذا من خلال برنامجها الذي نشر في العدد الأول حيت جاء فيه "ليس الهدف من اخراج هذه الورقة هو الثورة ضد الوجود الفرنسي أو مواجهة الادارة الفرنسية ولكن من أجل تقديم الملاحظات والنصائح للحاكم العام ومن هنا فالراشدي مثل قرينتها الاسلام المهتمة بالقضايا الهامة كقضية التعليم والدعوة الى الغاء القوانين الاضطهادية وفي مقدمتها قانون الأهالي البغيض[2] و هذا عن الصحف التي كانت مزدوجة اللغة نصفها بالعربية والنصف الآخر بالفرنسية وقد برزت هناك صحف بالعربية أهمها:

هـ-جريدة الجزائر: لعمر راسم سنة1908 أول مجلة عربية يصدرها جزائري سعى من خلالها لتوعية الجزائريين وتثقيفهم واطلاعهم غلى ما يجري في الخارج[3]

وظهرت في وهران جريدة الحق الوهراني التي أنشأها بالعربية السيد "تابي" tapi الفرنسي في 1912 وكانت أسبوعية كتب فيها الشيخ عمر راسم وغيره من الوطنيين

وفي 1913 صدرت جريدة الفاروق للشيخ عمر بن قدور ولكن الاستعمار رفض عليها لما رأوا آثارها الحسنة في الجزائر بالإضافة الى جريدة عمر راسم الثانية" ذوا الفقار" كان يكتبها ويحررها بخطه ولكنها أوقفت واعتقل صاحبها الهمام في 1914".[4]

---

[1]- علي دبوز: مرجع سابق، ص18.

[2]- بوصفصاف: مرجع سابق،ص166.

[3]- عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية1931-1945،ط1،دار البحث بقسنطينة،1981،ص651.

[4]- علي دبوز: نفسه،ص ص 13 14.

غير أن أهم الجرائد التي تعلق بها الشعب الجزائري قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى صحيفة "المغرب" وهي أسبوعية ناطقة باللغة العربية ذات اتجاه اصلاحي لصاحبها بيير فو نتانة الفرنسي[1]

نشأت في 1903 تصدر مرتين فب الأسبوع عربية خالصة كتب فيها الشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ عبد الحليم بن سماية وغيرهم من المصلحين واستمرت حوالي عشر سنوات [2]

ونكاد نجزم أنه لم تسلم جريدة عربية جزائرية واحدة من مماطلة المشركين وترددهم في دفع ما عليهم من واجب الاشتراكات بل ان توقف بعضها عن الصدور كان سببه العجز المادي قبل كل شيء ونضرب لذلك مثلا "بالمصباح" والجزائر لعمر راسم[3]

ثانيا : الجمعيات والنوادي

تعد الجمعيات الثقافية من أبرز مظاهر النهضة الجزائرية في العقد الأول من القرن العشرين اذ شهدت الحواضر الكبرى ميلاد العديد من الجمعيات التي كانت تمثل تجربة شبيهة بالصالونات والمنتديات الأدبية والعلمية في المشرق العربي كان ظهورها على يد مجموعات صغيرة من النخبة الحضارية في الجزائر وقسنطينة وتلمسان وغيرها...[4]

وكثيرا ما كانت تؤدي هذه المراكز وظيفة المدرسة وملتقى اجتماعي للرياضة والاسعاف والكشافة وكذلك مختلف الدراسات التعليمية والتربوية وأم هذه المراكز والجمعيات هي:[5]

1- الجمعية الراشدية:

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1،ج5، دار الغرب الغسلامي،بيروت،لبنان،2005،ص

[2]- دبوز :مرجع سابق،ص 18.

[3]- محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من1874-1954، ط1،دار الغرب الإسلامي،2007،ص24.

[4]- خيثر،مرجع سابق ،ص287.

[5]- بلعباس: مرجع سابق،ص 12

تأسست في1894 من طرف شبان جزائريين من خريجي المدارس الفرنسية الجزائرية بتأييد بعض الفرنسيين العاطفين على الجزائر وكانت هذه الجمعية تصدر نشرة بالعربية والفرنسية والقاء المحاضرات وتساعد على نشر التعليم والأخوة[1]

وقد شاركت أفراد النخبة المدرسية في المحاضرات التي نظمتها هذه الجمعية سنة1907 من أمثال: الشيخ عبد الحليم بن سماية، عبد القادر المجاوي...[2]

عنوان المحاضرة	المتكلم	اللغة
تاريخ الأدب العربي	عبد الحليم بن سماية	عربية
الحضارة العربية قبل وبعد الاسلام	عبد القادر المجاوي	عربية
التوفيق بين الاسلام والتقدم	محمد بن رحال	فرنسية
تاريخ الطب العربي	ابن بريهمات	فرنسية

تمثل هدف هذه الجمعية في مساعدة الشاب الجزائري على العمل والتفكير والعيش عيشة حديثة.

2 -الجمعية التوفيقية

أنشئت سنة1908 وأعيد تنظيمها من قبل النخبة سنة 1911 كان لها 200عضو يرأسها الدكتور ابن تامي أحد زعماء النخبة هدفها: جمع الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم العلمية والاجتماعية[3].

3- نادي صالح باي.

[1]- خيثر، مرجع سابق، ص12

[2]- خليل: مرجع سابق، ص

تأسس في 1908 في قسنطينة كان الشيخ المولود بن موهوب من المؤسسين لهذا النادي الأدبي والثقافي وقد يكون هو رئيسه حيث يصرح أحد المثقفين الفرنسيين للشيخ ابن الموهوب* وهو السيد أريب قوله:" مباقيكم العالية وإخلاصكم وحرمة ادارتكم(للنادي) بالإضافة الى حزمكم تستحق الاحترام والإعجاب والاعتراف[1].

وتمثل هدف هذا النادي في نشر التعليم والمساعدة على تحرير الجماهير الجزائرية والتوفيق بين المجموعتين الفرنسية والجزائرية والقاء المحاضرات العلمية والأدبية خلق جمعيات خيرية ومساعدة الجزائريين على اظهار مواهبهم الأدبية.[2]

بالإضافة الى نوادي أخرى "نادي الشبان الجزائريين بتلمسان" ونادي الشبيبة الاسلامية سنة1911 بعنابة[3].

وقد ساهمت هذه النوادي والجمعيات في يقظة الجزائر خلال هذه الفترة لأنها في أغلبها ركزت على التعليم والتقدم والتحرر كما ساهمت في انقاذ الشعب الجزائري من الانحطاط [4].

وقد ساهمت اصلاحات الحاكم جونار(الحاكم العام في الجزائر أنذاك) في تهيئة المناخ لنشأة هذه النهضة الاصلاحية على الرغم من أنه فرنسي نصراني الا أن وصوله الى المنصب الحاكم العام في الجزائر كان له أثر كبير على الحياة الفكرية والثقافية في

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج4،ص158.

2 –ابن الموهوب: من رواد الإصلاح كان أستاذا للفلسفة والعلوم الدينية والأدب العربي بالمدرسة الفرنسية الرسمية بقسنطينة كتب في جريدة إفريقيا وحارب البدع والضلالات والجهل بكل مظاهره اشتهر بشعره وخطبه ودروسه في نادي صالح باي، كانت له مكانته الخاصة في جماعة النخبة المحافظة،للمزيد أنظر عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر،محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نوذجا،مرجع سابق،ص158.

[2] – بلعباس:مرجع سابق،ص12.

[3] – بوصفصاف: مرجع سابق،ص 168.

[4] – بلعباس: نفسه،ص 12.

تلك الفترة فيذكر أنه شجع احياء فن العمارة الاسلامية وبعث التراث المكتوب والتقرب من طبقة المثقفين التقليديين وتشجيعهم على القيام بمهمتهم القديمة كإقامة الدروس في المساجد ونخوها كما اهمت بالتأليف ونشر الكتب العلمية وكتب التراث مما كان له أثر هام على الحياة الثقافية في الجزائر.[1]

ومن خلال هذا يتبين لنا أن الحركة الاصلاحية التي عرفتها الجزائر في مطلع القرن العشرين والتي أطلق عليها مصطلح "النهضة" امنا كانت تحاول اعادة بناء الشخصية الجزائرية بأبعادها الحضارية العربية والاسلامية مستعملة مختلف الوسائل المتاحة كالصحافة والنوادي والجمعيات وغيرها من النشاطات الثقافية.

ثالثا: مواقف النخبة الجزائرية من بعض القضايا

أ-نماذج عن النخبة:

أولا: عبد القادر المجاوي:(1848-1913)

ولد عبد القادر المجاوي بتلمسان سنة1848 [2] لذلك يعرف ب عبد القادر التلمساني[3] عاش ظروفا قاسية لم تمكنه من متابعة دراسته بصفة عادية اضطر جده لمغادرة مدينة مسقط رأسه التي مارس فيها القضاء لمدة25عاما وسافر الى فاس رفقة حفيده

تابع عبد القادر المجاوي دراسته في المغرب الأقصى وكانت البداية من مدينة طنجة ثم فاس بجامع القرويين أشرف عليه أساتذة كانوا قد تتلمذوا على يد جده محمد العلوي قاضي فاسي وبعض العلماء.[4]

---

[1]- عبد الصمد: مرجع سابق، ص90.

[2]- جيلالي صاري: بروز النخبة المثقفة الجزائرية،1850-1950،دارالمعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر2010،ص45.

[3]- OUNASSA TENGOIR. MEDAOIU ABDELKADER VERS1840 PARCOUR LES HOMMES ET LHISTOIR N13-14 OCTOBRE 1990 P179.

[4]- صاري، مرجع سابق،ص 31.

منهم محمد بن سواء وجعفر الكتاني، ومحمد القنون...هؤلاء العلماء الذين تربى على أيديهم عبد القادر فمنحوه التحصيل بعد أن رضوا بمستواه الجيد وأخلاقه الحسنة وفصاحة لسانه

ويعتبر الشيخ المجاوي من العلماء الذين يصح أن يطلق عليهم اسم دوائر المعارف لكثرة تحصيله وغزارة علمه وتنوع معارفه ومشاركته بكل فن بطرف وقد عاش المجاوي للعلم والتعليم فتخرج على يديه عدد هام من العلماء الجزائريين كان من بينهم الشيخ حمدان لونيسي الأستاذ الأول للشيخ عبد الحميد بن باديس وغيره[1]

وكان الشيخ المجاوي من رجال الاصلاح الديني الذين حاربوا البدع والضلالات وتوفي عام1913 في مدينة قسنطينة[2]

ثانيا: محمد بن أبي شنب:

ولد محمد بن أبي شنب يوم الثلاثاء في26أكتوبر1869 "بفحص" التي تبعد عن مدينة المدية بنحو ثلاث كيلومترات وتعرف اليوم بعين الذهب.[3]

وقد كان العلامة محمد بن أبي شنب سليل عائلة شريفة حيث يرجع أصله الأصيل ال بوصالي الأناظول وهي مدينة على جانب كبير من التأثر بالحضارة الهيلينية وهو تركي الأصل وهو من اولئك الفلاحين الذين عرفت منطقتنا بفضلهم السلم والاستقرار والازدهار قبل الغزو الفرنسي للجزائر.

---

[1]– تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر،ط،2007،منشوراتANEP ، الجزائر،2001،ص132.

[2]–أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، تر: محمد رؤوف القاسم الحسني، الأنسي، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1907، ص449.

[3]– محمد زمام، محمد بني أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية، مخبر الموسوعة الجزائرية المسيرة،جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2007،ص12.

كان العلامة أول من دخل ثانوية (بن شنب) المسماة باسمه اليوم أين درس الابتدائية والثانوية[1].

وقد نجح ابن شنب في امتحان الدخول الى المدرسة ترشيح المعلمين "ببوزريعة" "المدرسة العليا(Ecole normal) سنة1886 وانخرط في سلك طلبتها والى جانب الدراسة كان يطالع الكتب القيمة التي يقتنيها أو تصل يده اليها وكان يسعى جاهدا للاستعانة بالأساتذة المبرزين في المدرسة والعمل بنصائحهم وكانوا يتعهدونه بالعناية والرعاية كما يرون ويلمحون فيه من نبوغ واستعداد ومستقبل علمي زاهر.[2]

تخرج من هذه المدرسة برتبة أستاذ في اللغة الفرنسية وهو ابن 19سنة محازا بإجازتها في معلوماتها العامة وفي ما أتقنه من تعلم قناعة التجارة أيضا وذلك لما يوجهه برنامج المدارس على الطالب المتخرج من اتقان صفة واحدة من الصناعات"[3].

ثم انتقل الى المدرسة ابراهيم فاتح بالجزائر العاصمة بينما دخل ثانوية "بوجو" « Bugeau » فأعد البكالوريا سنة1872 اذ سجل نفسه بكلية الجزائر العاصمة حيث نجح في شهادات الدراسات العربية العليا لم يكن هذا حدا من تعطشه للعلم فقد عده كبار رجال العلم في العاصمة من نخبة طلبتهم .

وقد درس علوم الاسلام العليا مثل البلاغة والمنطق والفقه على يد الشيخ عبد الحليم بن سماية وراح في نفس الوقت يتعلم اللاتينية والألمانية والاسبانية والعربية والفارسية والتركية لغة أجداده.[4]

---

[1]– رابح لونيسي : تاريخ الجزائر المعاصر،1830–1989،ج2، دار المعرفة ،الجزائر، 2010،ص 107.

[2]– محمد صالح الصديق، محمد بن أبي شنب،1869–1929، أصالة وحداثة، ايمان وأخلاق، في مجلة الثقافة الإسلامية، مديرية الثقافة الإسلامية، العدد الأول،نصف سنوية، 2005،ص ص 127 128.

[3]–عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983،ص 14.

[4]– لونيسي: مرجع سابق، ص 107.

فاز في سنه 1924 بشهادة الدكتوراه كانت كلمة الشيخ من الأسماء الأحب اليه بمناداته "الشيخ أبو شنب" وأعذب في مسمعه في كلمة دكتور[1]

توفي بعد المرض في سانتجون يوم 5فيفري1929 ولم يتجاوز59سنة فقدت الأمة الاسلامية واحدا من أعدل علمائها.[2]

ثالثا: الشيخ عبد الحليم بن سماية:

ولد الشيخ عبد الحليم بن سماية سنة1866 في الجزائر كان تلميذا لعدة أساتذة بارزين [3] ، ابن أسرة مشهورة بالعلم والتدين يعتبر من الجيل الذي التحق بالمدرسة التي فرنستها قرارات السلطة الفرنسية، لذلك يعتبر من المثقفين الذين يجيدون اللغتين العربية والفرنسية كما كان متمكنا من العلوم الاسلامية، وزار بلاد الشام وأدى فريضة الحج الى بيت الله الحرام وانتقل الى تونس للدراسة وتحصل فيها على اجازة من العالم الجزائري المهاجر محمد بن عيسى الجزائري وتحصل على اجازة من شيخ زاوية الهامل ببوسعادة من الشيخ محمد بن القاسم.[4]

كان الشيخ عبد الحليم بن سماية من رجال العلم والفلسفة والأدب في الجزائر ومن العلماء القلائل الذين نشروا فكرة الاصلاح والتجديد قبل حركة ابن باديس وقد كان يعلم بالمدرسة الكائنة بشارع السفراء.[5]

---

[1]– صالح الخزفي، محمد سعيد الزاهري: دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986، ص 129.

[2]– لونيسي: مرجع سابق، ص107.

[4]–أحمد توفيق المدني: مذكرات حياة كفاح،1925–1954، ج2، مج2،بدون طبعةن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1977،ص88.

[5]– عمار الطالبي :ابن باديس حياته وآثاره،ج1، دار اليقظة العربية،بيروت،لبنان،1388هـ–1986م،ص21.

تميز بالشجاعة وابداء الرأي والتمسك به والدفاع[1] عنه يقول الحق ولايبالي بما يصيبه في سبيله من أذى[2]

فلما أرغمت فرنسا بعض العلماء الجزائريين على اصدار فتوى تجيز وقوف الجزائريين بجانب فرنسا ومحاربة الدولة العثمانية امتنع الشيخ عبد الحليم بن سماية ولم يجاري زملائه العلماء الذين استجابوا لطلب فرنسا فقد قال:" لا تجوز محاربة العثمانيين فهم دولتنا"[3]

فقد كان من أخبار العلماء المصلحين وأعدلهم توفي رحمه الله في 2جانفي1933 ودفن في مقبرة عبد الرحمان الثعالبي بالعاصمة.[4]

يعد الشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ محمد ابن أبي شنب والشيخ العلامة الهادي بن سماية من أبرز أهم المصلحين الأوائل في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وهناك شخصيات أخرى قد لعبت دورا هاما في الاصلاح كأمثال: الشيخ مصطفى بن خوجة(1865-1915) الذي اهتم كثيرا بشؤون المرأة الجزائرية وبنشر أعمال المفكرين المسلمين وتحقيقها وهو صاحب كتاب "الاكتراث في حقوق الاناث" الصادر في الجزائر سنة1897.[5]

وقد دعا المسلمين الى النهوض من سباتهم والاجتهاد والتخلي عن الجمود[6]

وأمثال مولود بن الموهوب أيضا الذي لعب دورا هاما في نخبة جماعة المحافظين التي كان ينتمي اليها واحتل مكانا بارزا فيها كما اعتبر متحدثها الغير الرسمي، وكان من

---

[1]- بوصفصاف: مرجع سابق، ص144.

[2]- رابح عمامرة، مرجع سابق،ص 135.

[3]- تركي رابح: ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، 1889-1940، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1970،ص109.

[4]- خليل: مرجع سابق، ص 129.

[5]- محمد الطاهري: مرجع سابق، ص10.

[6]- بوصفصاف: مرجع سابق، ص141.

المنادين بتشجيع التعليم الفرنسي للجزائريين وحمل رسالة فرنسا الحضارية في الجزائر ولكنه كان معارضا بدوره للتجنيس والخدمة العسكرية الاجبارية للجيش الفرنسي.[1]

لقد لقيت القضايا التعليم والتربية اهتماما بالغا ومجهودا جبارا ومعتبرا من قبل هذه النخبة الجزائرية المثقفة ونظرا لأهمية هذا الجانب الذي يتناوله بحثنا فسنتطرق اليه بالتفصيل فيها وقبل هذا يجب علينا أن نبرز مواقفها الحاسمة حول بعض القضايا المتعلقة بمصير الشعب الجزائري وأبرزها:

موقفها من:

أ- قضية الادماج والتجنيس:

لقد فرضت السياسة الاستعمارية الفرنسية التجنيس والادماج على الجزائريين بهدف القضاء على الشخصية الجزائرية الاسلامية

وقد نشطت الدعوة الى تجنيس الجزائريين وخصوصا تلك النخبة المثقفة بالجنسية الفرنسية تمهيدا لإدماجهم في الأمة الفرنسية حيث أغلقت فرنسا أبواب كل الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في وجه الجزائريين الا الذين يقبلون التجنس بالجنسية الفرنسية فهم وحدهم نسبيا يتمتعون بتلك الحقوق[2].

على غرار النخبة المثقفة ثقافة عربية اسلامية الرافضة لجميع ما يأتي من الاستعمار وفضح نواياه ومخططاته المختلفة مثل التجنيس والادماج حيث أن هذه الأفكار وخير مثال على هذه النخبة هو "عمر راسم" * الذي هو فرد من أفراد النخبة المحاربة للإدماج والتجنيس حيث أنه كان يعتبر الفئة الاندماجية خطرا على المسلمين الجزائريين لأنها تريد أخذ الحقوق السياسية

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية،1900-1930، دار الآداب بيروت، 1969،ص ص 171 172.

[2]-رابح عمامرة: مرجع سابق، ص275.

2- عمر راسم: من اعلام الإصلاح البارزين، صاحب جريدة ذو الغفار،1913، للمزيد أنظر د.توفيق مزاري عبد الصمد، ملتقى حول أهمية الإصلاح وعوامله في الجزائر، مرجع سابق،ص: 95.

عن طريق التفرنج والاندماج فيذكرهم بقوله: "أولئك الذين تخلقوا بمفاسد التمدن الحديث وشرور الحضارة الجديدة" [1]

انما يريد بذلك جماعة النخبة الذين كان بينهم وبين رجال الاصلاح الاسلامي صراع حاد فبينما كانت النخبة معجبة بالمدنية الغربية ومتأثرة بنمط الحياة الغربية كانت الحركة الاصلاحية تريد اعادة الجزائر لأصولها العربية الاسلامية.

لقد القى عمر راسم خطب كثيرة بالعربية والفرنسية قد بلورا الى حد كبير مواقفه وأفكاره الاصلاحية كان عمر راسم ساخطا على الوضع داعيا الى الثورة والتغيير نجده يساهم بعدة مقالات في جريدة التقدم التونسية1907-1908 التي يعمل فيها على انتقاد السياسة الفرنسية والفئة الاندماجية لأنهم ولوا وجوههم شطر المتسلط علينا واتبعوا سياسة الفرنسيين المتقلبين على الوطن"[2]

ولقد برزت أو بدأت في الظهور بشكل كبير في الستينات من القرن التاسع عشر مع مجيء نابليون الثالث والذي كان متحمسا أكثر من غيره لسياسة أكثر شحا اتجاه الأهالي لذلك صرح يوم 19سبتمبر 1860 قال: ان واجبنا الأول يتمثل في اعتناءنا بثلاثة ملايين من العرب....وعلينا أن ننهض بالعرب الى مستوى الانسان الحر أن ننشر بينهم التعليم مع احترام دينهم وعلينا أن نحسن من وجودهم باستخراج كنوز هذه الأرض التي وهبها الله ...هذه مهمتنا فلا نخالف العهد"[3]

فقد كان الهدف من الادماج والتجنيس هو ايجاد نوع من التعايش السلمي بين الأهالي والمسلمين والأوروبيين وادماج المجتمع الجزائري داخل المجتمع الفرنسي عبر وسائل مختلفة مثل: التعليم وفتح أبواب العمل لخدمة مصالحها

---

[3]-عبد الصمد ،مرجع سابق، ص 95

[3]- نفسه، ص 98.

مثلا على ذلك من جماعة النخبة ابن موهوب الذي كان قريبا من الادارة الاستعمارية بحكم أنه كان موظف رسمي لدى الادارة الاستعمارية الا أنه كان رافضا لسياسة تبعية الشعب الجزائري حيث يتضح هذا في قوله:" وبيني وبين الفرنسيين حاجزا لا أتخطاه سعيا اليهم وحاولوا تخطيه سعيا الي فما نجحوا أقوم بواجبي نحو أمة الاسلام ولا أحفل بشيء مما أتاني الله من على جماعة المسلمين ولقد كان الشيخ عبد القادر المجاوي وابن شنب سماية أيضا من جماعة النخبة الرافضة الناقمة على الادماج والتجنيس واعتبرتها هذه الفئة بمثابة حرب على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري خاصة مسألة التخلي عن الأحوال الشخصية وركزوا على حماية الدين الاسلامي والهوية العربية والإسلامية وشعارهم الحفاظ على الجامعة الاسلامية ورحبوا بالمساواة ولكنهم عارضوا الاندماج وكان هذا في المراحل الأولى قبل ظهور الحركة الوطنية تنظيمها لمواقفها ضد الاستعمار الفرنسي قبل الحرب العالمية الأولى قد تعارضت مطالبهم مع النخبة المتخرجة من المدارس الفرنسية بالجزائر وبعض الجامعات الأوروبية مثل: المحامين، الصيادلة والمعلمين.....حيث ان هذه الفئة رحبت بالإدماج الكامل في فرنسا قصد تحسين لأوضاع الأهالي ويطالبون بالمساواة بينهم وبين الفرنسيين حيث اعتبرتها وسيلة لفتح باب الحوار لتقديم وايصال مطالب الشعب الجزائري الذي تتمثل في المساواة مع المعمرين واليهود الفرنسيين في الوطن الأم لهذا قد كان هناك صراع حاد بين هاتين الفئتين.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

القضايا التعليمية والتربوية عند النخبة الإصلاحية الجزائرية.

المبحث الأول: النشاط التعليمي للنخبة المثقفة الجزائرية

من المعروف تاريخيا أن القوميات المقهورة تجعل من التعليم القومي والمدروسة الوطنية سلاحا فعالا من أجل استعادة كيانها ومجدها الذاهبين لأن المدرسة وان كانت نتائجها بطيئة الى حد ما، الا أنها قادرة بحكم امكانياتها الهائلة على التشكيل النفسي والعقلي والروحي لروادها على غرس القيم الجديدة التي يطمح المجتمع الى تحقيقها في نفوس أبنائه بحيث لا تضارعها وسيلة أخرى في هذا الميدان

حيث تعتبر قضية التعليم والتربية من أهم المسائل التي ركزت عليها النخبة لإيمانهم الكبير والقوي بأن المدرسة هي التي تعتبر السلاح الفعال ضد العدو أو الاستعمار ولذا قد كان لها نشاطا واسعا ومجهودا جبارا في هذا المجال مستعملة وسائل مختلفة كالتدريس والتأليف والقاء الدروس في الجمعيات والنوادي.

ولقد جاء موقف (عبد القادر المجاوي) محاربا للبدع والخرافات جاهدا على حث المجتمع على طلب العلم وحب الاطلاع والمعرفة .

ولقد كانت له مؤلفات في ميدان التربية مثل كتاب "ارشاد المتعلمين سنة 1877"[1].

وكتاب تربوي آخر بعنوان "المرصاد في مسائل الاقتصاد وشرح منظومة انكار الفساد الاجتماعي وجعل فيه مقدمة ذات أهمية في بيان ضرر البدع وضرورة النهضة العلمية وقرر أن السبب الرئيسي في النهضة انما هو العلم وتشمل المقدمة على مبحث كامل في الحكمة والعلم ومبحث في التربية[2]النافعة والمعرفة المفيدة فيجب التبصر لمثل هذا وفي الغالب أن اهمال الأولاد من الأمهات الجاهلات أو المتعلمات تعليما ناقصا"[3]

وأورد الأستاذ (أبو القاسم سعد الله):كان الشيخ عبد القادر المجاري أحد القادة الاصلاح في الكتلة المحافظة وكان يتمتع بشعبية واحترام كبيرين بين الجزائريين في وقته فقد كان أستاذا للعربية والقانون الاسلامي في المدرسة الجزائرية الفرنسية للعاصمة مدة سنوات كثيرة"[4]

ومن أهم آثاره العامة في ميدان التعليم والتربية قصد اصلاح المجتمع ومؤلفاته:

1-"ارشاد المتعلمين" السابق ذكره وهو كتاب في اللغة والنحو والبلاغة طبع في مصر 1877

---

[1]- عمار طالبي، مرجع سابق، ص 21.

[2]- عمار طالبي ، آثار ابن باديس ، مج 1، ط 1 ، الشركة الجزائرية للتأليف والترجمة والطباعة والتويع والنشر، الجزائر، 1968، ص 21.

[3]- عمار طالبي ، مرجع سابق، ص 21.

[4]- عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر الحديث، أعلام ، قضايا، مواقف، الجزائر، 1933، ص 70.

2-"شرح شواهد ابن هشام" وهو كتاب في اللغة والنحو والأدب طبع في مصر

3-"الافادة لمن يطلب ألاستفادة ويشمل معالجة مسائل فقهية متنوعة[1]

توفي في 6أكتوبر 1914 بقسنطينة[2] تخرج على يده عدد هام من بناه النهضة العلمية والأدبية في الجزائر كان من أشهرهم الشيخ" حمدان لونيسي" ويلفت مجمل عدد كتبه حوالي ثلا ثة عشر كتابا[3].

وقد تحدث الشيخ (المجاوي) عن تعليم المرأة وضرورته لأنه في رأيه هو أساس التربية وقد وضع أصلا في هذا الشأن يعتبر من الأصول العلمية في مناهج التربية والتعليم وهو مبدأ دراسة الأخلاق وعلم النفس لابد من دراسة علم الأخلاق وعلم النفس[4]

وقد انتقد طرق التعليم في عصره حيث قال: التعليم القديم غير نافع في زماننا لنقصانه، اذ تعليم القرآن وحده على الكيفية المألوفة عندنا بهذه الأقطار لايفيد التعليم ولا أباه، فلا بد من المعرفة العلوم النافعة في الدين والدنيا، أما اذا اقتصرنا غلى أحد العلمين ضاع ما يفتقر لذلك العلم المجهول، ولكت أهل زماننا تركوا العلمين معا، ولاحول ولا قوة الا باله، نعم انه يوجد بعض العلماء ولكن صاروا لقلتهم كالعدم"[5]

يبدو من خلال هذا النص أن العلامة عبد القادر المجاوي أنه يحمل فساد الأخلاق بين الناشئة الى جهل المرأة وابعاد لما عن مجال التربية والتعليم، كما أنه يرفض التعليم العربي القديم الذي أصبح لايفي بمتطلبات العصر ويدعو الى تجنب تعلم القرآن بدون علوم أخرى تفيد الناس في دينهم ودنياهم[6]

---

[1]- بن قينة، مرجع سابق، ص 71.
[2]- الحفناوي، مرجع سابق، ص،298.
[3]- تركي رابح، مرجع سابق، ص106.
[4]- عمار طالبي مرجع سابق ، ص 21.
[5]- عمار طالبي، مرجع سابق، ص: 21.
[6]- بوصفصاف ، مرجع سابق، ص 138.

بدأ التدريس بقسنطينة منذ أن حل بها سنة1869 مدرسا حرا وبعدها نقلته الحكومة الى عاصمة الجزائر سنة1898 فدرس في مدرسة الثعالبية التي تم بنائها سنة1903 وبدأت فيها الدراسة سنة 1905 وقد أعجب الناس بطريقته في التدريس وصدق لهجته وصفاء سريرته ولقع تعالمية في القلوب التي يخاطبها ويربيها واستطاع بذلك أن ينفذ الى أرواح الطلبة وأن يؤثر فيهم[1]

لقد اهتم الشيخ عبد القادر المجاوي بالدفاع عن تعليم المسلمين والنهوض بمستواهم ودفعهم الى الرقي والتقدم وكان المجاوي يعلم بملاحقة الاستعمار له ومدى مراقبته خوفا من ازدياد نشاطه وتوسعه والتفاف الناس به وقد أرادت تقييد حريته بعرض الوظيفة عليه والتي قبلها في متحف المساجد والمدارس امانا منه بأن هذه الوظائف كلها تخدم أبناء شعبه وكان يدرك أن رفضه لهذه الوظائف تؤدي بالسلطات الاستعمارية بالاعتماد على المستشرقين الذي يسممون بأفكارهم أبناء القب ويقتلون مبادئ دينهم[2]

ثانيا: النشاط التعليمي و التربوي عند محمد ابن أبي شنب:

أ- وظيفته كمدرس:

-لقد كان لمحمد من أبي شنب نشاط تعليميا و تربويا واسعا ويعد من أهم الشخصيات المثقفة التي خدمت الثقافة العربية و علومها و اللغات الأجنبية المساعدة لإثرائها منذ نهاية القرن التاسع عش و العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين.

[1]- طالبي ، مرجع سابق ، ص ص 23-24.

[2]- علي دبوز، مرجع سابق، ص 98.

–تعلم الفرنسية و قرأ آدابها و تاريخها، وبعد أن أنهى تعليمه الثانوي التحق بمدرسة المعلمين الفرنسية ببوزريعة بالقرب من الجزائر وتخرج أستاذا في اللغة الفرنسية مجازا بشهادة علمية وشهادة تقنية بعد سنتين من الدراسة.[1]

–وفي شهر أكتوبر من العام نفسه عين معلما بالمكتب الرسمي في قرية سيدي علي تامجرت (منطقة قريبة من المدينة بنحو 30 كلم) فعمل فيها أربع سنين إلى غاية 1892، ثم عين معلما بمكتب الشيخ إبراهيم فاتح الرسمي بالجزائر ، و أثناء إقامته في الجزائر العاصمة تعلم اللغة الإيطالية و درس البلاغة و المنطق و التوحيد على يدي الشيخ عبد الحليم بن سماية.[2]

ولما شعر بالكفاءة و المقدرة العلمية في نفسه ، تقدم للامتحان بجامعة الجزائر الفرنسية، لأحرز على الشهادة في اللغة العربية "دبلوم آداب " "diplôme arabe" ذلك في 19 جوان عام 1894 م وبعد ذلك درس اللغة الإسبانية و الألمانية و اللاتينية و التركية والفارسية و العبرانية ، وقد أصبح يتقنها نطقا و كتابة حتى لمن يعرفه عندما يتكلم إحدى هذه اللغات أنه واحد من أبنائها.[3]

–وفي يوم 8من شهر ماي سنة 1898 م ، عينته الأكاديمية الجزائرية الفرنسية أستاذ بالمدرسة الكتانية في مدينة قسنطينة خلفا للأستاذ عبد القادر المجاوي ، فدرس بها النحو والصرف و علوم الأدب مع الفقه.[4]

---

[1]–عبد الرحمن بن عبد محمد الجيلالي، محمد ابن أبي شنب حركته و أثاره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،1983، ص14.

[2]–جيلالي ، مرجع سابق، ص16.

[3]–جيلالي ، مرجع سابق،ص14.

[4]–بوصفصاف ، مرجع سابق، ص145.

–وكانت فترة مكوثه بقسنطينة قصيرة جدا، تبعها انتقال جديد سنة 1901تنقل كان مشكورا ومحمودا ، هذه الرحلة لم تكن مجرد رحلة بقدر ما كانت تكريسا و إرتقاءا.[1]

–كان من أثارها توظيفه في المؤسسة المشهورة الثعالبية المختصة لأساتذة أجلاء يسهرون على تكوين إطارات مزدوجة اللغة ، و الموجهين للتعليم ، و كذا للشؤون الدينية و القضاء الإسلامي[2].

–ففي 1903 كلف بالتعليم في مدرسة الآداب و أشرف على التعليم: [3]

اللغة و النحو و الصرف و المنطق و العروض و البيان [4]،وترجمة و العقود الشرعية ، كمنا كامن يلقن العربية بالدارجة ، و في سنة 1904لم يتردد في إعطاء دروس في الحديث الشريف على صحيح البخاري وذلك بمسجد السفين [5].

وظل يعمل بها 14 عام ، ولم تنقطع صلته طول هذه الفترة عن طلب العلم ، فهو طالب ومعلم معا ، حتى كلل جهوده بنيل شهادة الدكتوراه من القسم الأدبي بكلية الآداب بالجزائر [6]، وقد عرف محمد ابن شنب بنشاطاته المتعلقة بالدراسات الأدبية و اللغوية ، و تحقيق الكتب ، و هو بذلك أقرب إلى العلماء المحققين منه إلى الكتاب و بالأدباء ، ولم يكن يعتني بجمال الأسلوب أو بلاغة العبارة ، و لما سأل عن ذلك أجاب بقوله :" خذ العلم و ماذا يعنيك أمان بأسلوب الطلي أو كان بأسلوب طلي، وحسبك أنك فهمت عني ما أريد ، ولا تغرنكم زخارف الألفاظ و تزويقاتها، وهل اللغة و أساليبها إلا أداة للفهم و التفهيم؟!"[7]

---

[1]–صاري مرجع سابق،ص71.

[2]–نفسه ،ص71.

[3]–صاري ، مرجع سابق،ص71.

[4]–بو صفصاف مرجع سابق ص145.

[5]–صاري، مرجع سابق ص71.

[6]–ابن أبي شنب ،منتخبات في الترجمة والتأليف والتحقيق، دار المعرفة للنشر، الجزائر1986 ،ص06.

[7]–ابن أبي شنب ، مرجع سابق /ص07.

ب-اعتنائه باللغة العربية:

كان ابن شنب عالما بالعربية ، متبحرا في علومها وآدابها يحفظ كثيرا من نصوصها ومفرداتها حتى وصف بأنه "معجم يمشي على الأرض" لكثرت محفوظه من مفردات اللغة المدونة بالمعاجم العربية كانت له عناية بجمع الكلمات الكثيرة و التراكيب اللغوية التي تجري على ألسنة الأدباء في القديم و الحديث و لم تدون في المعاجم ثم يقوم بدراستها درسا وافيا و يحاول ردها إلى أصولها العربية [1] .

ولم تكن مثل هذه المهمة السهلة بل تحتاج المعرفة تامة بالقديم بصر دقيق بالحديث حتى يستطيع التوفيق بينهما في سهولة و يسر دون تعسف أو توفيق و أداة حرصه على العربية إلى أنه كان يرى تجنب استعمال اللفظ الدخيل اللغة و الاجتهاد في اجتنابه و لو بالاستعاضة عنه بقريب اللغة المهمل الذي بطل استعماله [2].

وكان يعرف في أبحاثه في اللغة العربية و الأدب بأنها مبتكرة لطيفة ، حيث أنه كان يذكر أمام كل كلمة طريقة اختصارها وكان يترجم كل كلمة إلى الفرنسية مع إضافات الشرح و التفصيل في بعض الكلمات [3].

ومن نماذج هذه الاختصارات التي قام بها :

-"مج" : ويعني رحمه الله.

-"رضه" : ويعني رضي الله عنه.

-" المص": و يعني المصنف.

---

[1]-ابي شنب ، نفسه ،ص07.

[2]- نفسه،ص07.

[3]-خالد تومي ، جهود الدكتور محمد ابن أبي شنب في إحياء و إثراء التراث العربي و الإسلامي ، الملتقى الدولي لدكتور محمد ابن أبي شنب ، -معهد اللغات و العلوم الإعلام و الإتصال.

-"التس: و يعني التسلسل.

-"هـ": ويعني هذا الرمز كلمة انتهى.

ج- أهتمامه بالتحقيق الكتب و تصحيحها:

وقد إهتم العلامة محمد ابن أبي شنب بالتحقيق الكتب و ترجمتها فنجده يقوم بتحقيق كتاب "السبان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان "، لأبي عبد محمد بن محمد أحمد الملقب "بإبن مريم الشريف المليني المديوني التلمساني" ووصفه ابن شنب بأنه من أعظم المؤلفات و أكثرها قيمة " ونفعا في تراجع العلماء و السادات و قدمه للطبع بمطبعة أحمد بن مراد و التركي بالجزائر سنة 1908[1].

وقد إهتم العلامة محمد أبن أبي شنب الغر من الأقدام من طبعه قائلا : " بادرنا طبعه لتعميم نفعه"[2] ثم نجده قد اعتنى برحلة الشيخ الحسين الوترلاني و مالها قيمة أدبية علمية فطبت تحت عنايته و رعاية سنة 1908.[3]

د-أهم الكتب التي اهتم بنشرها و تحقيقها:

كان ابن شنب مهتما كثيرا بتحقيق الكتب و تصحيحها من أهمها أيضا كتاب "عنوان الدراية في علماء بجاية " [4]

---

[1]-تومي ، المرجع السابق،ص09.

[2]- تومي ، مرجع سابق، ص: 54.

[3]-سميرة أنساعد ،اسهامات محمد ابن أبي شنب في التعريف بالتراث الرحلي في الجزائر ، الملتقى الدولي بجامعة الجزائر ، 15-17 ديسمبر 2009 ،ص147.

[4]-ابن شنب ،مرجع سابق ،ص10.

وقد ترك لنا هذا العلامة الجليل إنتاجا علميا وافرا بحيث ألف حوالي خمسين كتابا في سائر العلوم المتداولة عند العرب و الإفرنج أبرزها كتاب " تحفة الأدب في ميدان أشعار العرب " [1]، نشر بالجزائر سنة 1908[2].

د- أهم مؤلفاته باللغة العربية :

- تاريخ الرجال الذين رووا صحيح البخاري و بلغوه الجزائر
- معجم بأسماء ما نشر في المغرب الأقصى و نقدها
- فهرس خزانة الكتب المخطوطة للجامع الكبير و الجامع الصغير بالجزائر[3]

أهم الكتب التي ألفها باللغة الفرنسية:

- مجموع أمثال العوام بأرض الجزائر و المغرب و طبع في باريس ثلاثة أجزاء
- الألفاظ التركية و الفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية

ما أخذه دانتي من أصول الإسلامية في كتابه ديفنا كوميديا أي في كتابه كوميديا الإلهية ، ويعد هذا الكتاب من أوائل الكتب التي التفت إلى التأثير الإسلامي في هذا العمل الإبداعي كبير[4].

كما لا ننسى بذكر بحوثه المنشورة المتعددة في المجلة الشهيرة "مجلة إفريقيا" وكذا مجلات أجنبية أخرى معروفة [5]

---

[1]- كريم مقنوش : محمد ابن أبي شنب أول جزائري متحصل على الدكتوراه في عهد الإستعمار، مجلة الراصد ، العدد الثاني ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر2002،ص42

[2]-ابن أبي شنب : مرجع سابق ،ص09.

[3]-نفسه.

[4]-روني باسي: أستذا ذا سمعة حسنة ، من المدرسين رفقة إبن أبي شنب و عبد الحليم ابن سماية و غيرهم في الثعالبية ، للمزيد أنظر الجيلالي صاري ، مرجع مذكور ،ص70.

[5]-صاري ، مرجع سابق ،ص71.

إلى جانب كل هذا قد كانت لهذا العلامة محمد ابن أبي شنب مميزات أخرى كعلاقته بالمستشرقين ، اندمج ابن أبي شن في ميدان الإستشراق من خلال مشاركته في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي عقد بالجزائر سنة1905.

ونظرا لما لمس فيه المستشقيين من كفاءة و اجتهاد في العمل قد عرضوا عليه الإشرلاني إخراج جملة من الأعمال .

وقد قدم بحثين ، وقام بكتابة تقرير عن قسم اللغات الشرقية في مؤتمر نشر في الجلة الإفريقية.[1]

نشرت باللغة الفرنسية عام 1908.[2]

لما خدم أبن أبي شنب من خلال هذه التجربة من خلال مشاركته في أبحاث و مؤتمرات المستشرقين بتعريفه بالتراث الجزائري و كان هذا من خلال تعريفه بأهمية فهارس المخطوطات و تجريدها و هكذا انشر في عام 1905 "فهرس المخطوطات العربية التابعة للجامع الكبير بالجزائر ".[3]

كان محمد بن أبي شنب صورة الأديب و العالم المسلم عرف كيف يطلع على الأساليب الأوروبية في العمل دون أن يفقد شيئا: من صفاته و عاداته ، و أورثه سعة علمه زهدا و تواضعا و رغبة في تلبية كل طالب علم قصده في مسألة أو قضية.

- لم ينقطع ابن أبي شنب عن الدراسة و التحقيق و إلقاء المحاضرات في قاعات الدرس حتى يوم وفاته.

---

[1]–أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج،8، الطبعة الثانية، دار المغرب الإسلامي ، بيروت لبنان، ص171.

[2]–زمام ، مرجع سابق، ص61.

1– الفريد بيل (مجمد بن أبي شنب فقيد العلم) ترجمة عائشة خمار، مجلة الثقافة ، العدد 53، الشركة الوطنية [3]للنشر و التوزيع، الجزائر، ص35.

- لم يمنعه اعتذاره و حفاظه للفتنة العربية أن يتعلم لغات أجنبية عديدة و يأخذ منها المفيد فقد كان محبا للعلم و الإطلاع واسع العلم و المعرفة ، محافظا على مبادئه متمسكا بقيمه.

ثالثا: النشاط التعليمي والتربوي عند الشيخ عبد الحليم ابن سماية

لقد شهدت العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين براعة هذا العلامة في أداء مهمته التربوية، قد ساهم بشكل كبير في تدعيم المؤسسة التي كانت مزعزعة بمشاكل واجهها المجتمع بشدة، أين كان يدرس في الثعالبية وقد كانت تلك الفترة مليئة بالاضطرابات نتيجة التشريعات التي كانت تصدرها فرنسا من حين إلى آخر فقد واجه هذا العلامة الكبير عدة عراقيل ومشاكل لكنها لم تمنعه من أداء مهمته التربوية على أكمل وجه.

ا-وظيفته كمدرس:

تولى الشيخ عبد الحليم ابن سامية التدريس بالمدرسة الرسمية بعد 04 ديسمبر 1896، وعمره يومئذ لا يتجاوز ثلاثين سنة، فكان فيها أول من أقرّأ كتاب دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي وتلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني، والبصائر النصرية في المنطق لابن سهلال وغيرها من الكتب المعتبرة عند أهل الخبرة والعلم فكان بذلك رحمه الله أول من أدخل نظام اصلاح التعليم العالي بالجزائر، كما أنه كان أول من اهتم بتدريس رسالة التوحيد الإمام محمد عبده وختمها في ظرف سبعة أشهر[1].

لقد كرس الشيخ عبد الحليم ابن سماية حياته لخدمة الأمة الإسلامية فقد كان يقسم ساعات عمله اليومية بين المدرسة والمسجد 12 ساعة في الأسبوع، وبالإضافة إلى تفسير القرآن الكريم وما كان يلغيه من دروس عامة للعامة في سائر الأمكنة العامة والخاصة وفي

---

[1]- عبد الرحمن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، الجزء الخامس، ط 2014، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، ص 270.

المحافل والنوادي وحيثما حل وارتحل وفي أي بلد[1] كان درسه رحمه الله، جزء بليغا، يتكلم بفصاحة وعبارة منقتحة بليغة وألفاظ محكمة فخمة وذلك يرجع إلى غزارة علمه ومادته اللغوية التي كونها أو تكونت فيه بسبب انكبابه على مطالعة معجم لسان العرب، حتى كاد أن تخفي عليه مادة من مواده فهو لا يتنازل في دروسه للغة العامية أبدا، إلا في البعض النوادر والحكايات التي قد سبقوها أثناء الدرس فلذلك كان لا يمل حديثه ولا يشعر بالضجر جليسه[2].

لم يكن ليرتاح فيما يلقيه على تلامذته من الدروس إلا إذا شعر من نفس اتلميذ بالاطمئنان إلى ما تلقاه ووعي وحفظ لما زواله من المسائل المطروحة في الدرس[3].

لقد كان الشيخ في دروسه نادما على البدع والخرافات وعلى فساد الخلق وعلى الالحاد ما يأتي به الاستعمار لإفساد الخلق صريحا لا يخاف احد يقول الحق وإن أغضب الحكومة وكانت الحكومة لا تستطيع عزله خوفا من ثورة المسلمين فكان هو زعيمهم[4].

ونظرا لأدائه المخلص في التدريس فقد كانت تقارير المفنشين الفرنسيين تشير به وبعلمه وبطريقته في التدريس وفصاحة لسانه، وكانوا من الذين نالوا أو سمة علمية تشجيعا لهم أو اعتراف بفضلهم في أداء مهمة التعليم في الجامع والقسم العالي من المدرسة[5].

وإضافة إلى هذا فقد وجدت تقارير كثيرة عن ابن سامية كمدرس ناجح كتبه المشرق الفرنسي "وليام مارسيه" ووصفه فيه بفصاحة اللسان وحرية الفكر وسلامة اللغة وقال عنه أنه من المتعانين البارزين في المدرسة كما أن مستوى درسه في الجامع لمدرسه في المدرسة[6].

---

[1]– جيلالي مرجع سابق ، ص 277.

[2]– نفسه ، ص 277.

[3]– نفسه ، ص 278.

– عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925–1954، ج 1 ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في [4]التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2004–2005، ص 116.

[5]– جيلالي ، مرجع سابق ، ص 275.

[6]– نفسه ، ص 275.

فقد اشتهر الشيخ عبد الحليم من بين أساتذة عصره بالصلابة في الدين وكان يتصدى لأي شيء فكان يتصدى له الشيخ بالمناقشة والحوار العلمي حتى يثبت صحيحا بصانع برهانه وصحيح استدلاله[1].

وهكذا كان الشيخ (عبد الحليم ابن سماية) في كل موقف يقف اتجاه الملحدين وضلالات المبشرين واعتراضات المبطلين ولا عجب في ذلك من رجل ثاقب الذهن مثله رزق البلاغة في البيان والاهتداء إلى ناصع البرهان[2].

قد سعى عبد الحليم ابن سامية من خلال منصبه بالمدرسة الثعالبية أن يكون طلابه تكوينا صحيحا ليكملوا دربه فيما بعد ومن أبرز تلاميذه "الحوارخ عبد الرحمن الجيلالي، تلميذه محمد ابن أبي شنب"

ب-أهم توجيهاته التربوية:

كان شيخ ابن سماية العلامة الكبير يلوم الآباء الذين لا يلاحظون ضعف مستوى أبنائهم الدراسي ولا يحركون ساكنا غير مبالين بعواقب ما يترتب عن ذلك كأنهم غير مسؤولين لذلك حث الأولياء على تخصيص حصص من أوقاتهم لمجالسة الأبناء ومساعدتهم على تجاوز الصعوبات التي تعترضهم في الدراسة فكان يقول أن كل ما قل أن يثقف عقول أبناءه بالتعليم وأن لا يشكل على ارسالهم غلى من يعلمهم فقط بل يجعل لهم هو بنفسه حقا من الزمان[3].

---

[1]- جيلالي، مرجع سابق، ص 276

[2]- نفسه، ص 275.

[3]- جيلالي ، مرجع سابق ، ص 246.

كما نص الأولياء بورورة الابتعاد عن أسلوب التعنيف والزجر في التربية لأن نتاج ذلك تكون معكوسة ودعا ابن سماية الانسان المسلم إلى ضرورة القيام بالعمل ونبذ الكسل وعدم التعلل بالأسباب الراهنة التي تدفع بصاحبها إلى الابتعاد عن العمل[1].

أما ايمانه بالتضامن والوحدة الافريقية فكان يعبر عن أصالة سكانه في أعماقه وسارية في كيانه فقد كان من أمة العلماء كان يسودها الاختلاف في الحق بالباطل وشقاق المسلمين فيما لا يعود عليهم بطائل بحذر من فتنة الأمة في دينها إذ فتنتها في دينها أشد من قتلها[2].فقد كان غيورا ملتهبا على دينه ووطنه[3].

ان عبد الحليم ابن سامية اهتم بمجال التربية منذ أن كان شابا ففي نهاية 188 بدأ المرشد الشاب يتصدى وبقوة في اجامع الجديد للانحرافات والأمور الاجتماعية والتي منها الأخلاق السيئة، التشرد الشابي وغيرها من الانحرافات التي تعود إلى الانحلال الناجم عن وفود الفرنسيين الذين كان يقدمون إلى الجزائر العاصمة ويحتكون بالعامة فقد كان لهم مزاج معفن أو بهذا الدور الذي قام به فقد كان قد سبق بعقود لتهيئة وتمهيد الأرضية للعلماء[4]

ج-انتاجه العلمي:

لقد كان لابن سامية العديد من المؤلفات من بينها "كتاب فلسفة الاسلام" وقد قدم الفصل الأول منه في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد في الجزائر سنة 1905[5].

---

[1]- بن عدة مرجع سابق ، ص 66

[2]-. نفسه، ص 66.

[3]- جيلالي ، مرجع سابق ، ص 279.

[4]- صاري، مرجع سابق ، ص 60.

[5]- موسى صاري ، سلسلة أعلام الجزائر، دار ابتكار للنشر والتوزيع، 2011، الجزائر، ص 14.

وقد رفض الاستعمار الفرنسي طبعه ضمن أعمال الملتقى لاحتوائه على حقائق علمية لاستخدم الاستعمار[1].

ولم ينشر أنذاك إلا القليل من أعماله الأدبية التي تعالج المشاكل الاجتماعية في اصحافة العربية الصادرة في مدينة الجزائر بما في ذلك "مجلة كوكب افريقيا" تحت اشراف محمد كحلول والإقدام تحت اشراف"الأمير خالد" وإضافة إلى ما ذكرنا فقد كانت له عدة مقالات في الصحافة العربية الجزائرية لاسيما في صحيفة محمد كحول وكانت مجلة المنار تعد المدد الروحي والغذاء الفكري لعبد الحليم بن سماية"[2]

وقد كان عبد الحليم ابن سامية من الذين أوصوا الشيخ محمد عبده بأن لا يذكر في مجلته دولة فرنسا بسوء لكي لا تمنع من الدخول إلى الجزائر[3].

وكانت جريدة المغرب التي صدر عددها الأول باللغة العربية في 1903/04/10 بالجزائر العاصمة مقربة منه وكان يعتبر من أبرز محرريها، كانت مقالاتها ثقافية وأدبية بالدرجة الأولى[4].

بالإضافة إلى ذلك فقد كان يقرأ الجرائد الكبرى الفرنسية والعربية ويعرف أحداث العالم ويهتم كل الاهتمام بالعالم الاسلامي كله ويتمنى له النهوض والتحرر من جهل الدين وبلاء الاستعمار[5].

---

[1]– صادي مرجع سابق، ص 60.

[2]– بوصفصاف ، مرجع سابق، ص 144

[3]–.نفسه، ص 144.

[4]– زهير احدادن، الصحافة الاسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 38.

[5]– بن عدة ، مرجع سابق، ص 116.

هكذا قد كرس عبد الحليم ابن سامية حياته للتدريس ووهب نفسه كليا للإبداع والتجديد في التعليم يستجيب لمتطلبات القرن مدة عقود معتبرة من الزمن ، بنشاطه المكثف في الميدان، والمتصل مباشرة مع هذا المجتمع الذي يطمح كثيرا وبحرقة إلى التغيير[1].

وأمام تلك المخططات الاستعمارية التي كانت تسعى لإفشال وعرقلة مهمته التعليمية بشكل مباشر أو غير مباشر إلا أنها باءت بالفشل أمام عزيمته واصراره على انجاز مهمته التربوية، فإن المدرسة الجزائرية بصفة عامة والمؤسسة الثعالبية بصفة خاصة قد تقوتت وتحضنت بفضل هذا الشيخ العالم الذي كون جيلا جديدا فكان من أهم رجال العلم الأوائل الذين أثبتوا أهمية العلم والتعلم.

المبحث الثاني: موقف الوسط الأوروبي من القضايا التعليم و التربية عند نخبة الإصلاحية الجزائرية.

أولا–السياسة الكولونيالية في عرقلة التعليم :

إذا كان الأوروبيون قد حاربوا النخبة التقليدية أو البرجوازية الوطنية فور احتلالهم للجزائر بهزيمتها من جهة أو نفيها أو تشريدها من ديارها من جهة ثانية، بل إن هذه النخبة قد حكم عليها بالاختفاء و الذوبان ، فقد استعملوا الأسلوب نفسه مع النخبة الجديدة التي تكونت بطريقتهم الخاصة ، فهم لم يرحموا المثقفين ذوي الأفكار المتطورة المنادية بالمساواة و التسامح و التقارب و العدالة و المواطنة الفرنسية و الفرنسة و التجنس و غيرها ، و اعتبروهم على إثر ذلك أعداء خطرين يمكن أن تتطور مطالبهم إلى حد المطالبة بإخراجهم من المستعمرة الجزائرية.[2]

---

[1]– صاري، مرجع سابق، ص 64.

[2]– حلوش ، المرجع السابق،ص267.

وبحكم اعتبروا تعليم الجزائريين خطرا على المستعمرة و كانوا يعانون من " فوبيا تعليم الجزائريين " ويرى هؤلاء أن حب الاستقلال عند الجزائر الذي كونه التعصب الدين هو الذي سلحهم ضدهم و جعلهم دائما يخافون و يحتاطون منهم ومن تعليمهم الفرنسي.[1]

كما كان يدعي المعمرون من قبل إنشاء المدارس لصالح أبناء الجزائر يستلزم نفقات باهظة يتعذر على الميزانية البلاد أنى نتحملها و لا سيما أن سكان البلاد لا يساهمون بقسط مقبول في نظرهم في مدخولات الخزينة و هذا طبعا غير صحيح لأنه إذا أخذنا بعين الاعتبار الضرائب فقط التي دفعها سكان البلاد سنة 1891 ظهر أنها كانت بنسب مرتفعة بتحديد من السلطات المعنية.[2]

-كان الكولون يحتجون بأن الجزائري غير قابل للتصحيح و غير قابل للتعليم فلويس بترمان الذي قضى عقدا (1881-1891) كحالهم على الجزائر ، قد أخبر مستمعيه ذات مرة قائلا: " أن التجربة قد دلت على أن الأهليين الجزائريين الذين أعطيناهم تعليما كاملا سوف يصبحون خصوما لنا "[3]

-ولكي لا يرى الجزائريون النور العلمي ، أغلق الكولون أبواب التعليم في وجوههم أو اكتفوا حين يسمحون بذلك التعليم لا تتجاوز قيمته تعليم مستمع اللسان.

ففي مؤتمرهم الذي عقدوه في عاصمة الجزائرية سنة1908، صوت الكولون في صالح اللائحة التالية بخصوص تعليم الجزائريين "إن المؤتمر نظرا إلى أن تعليم الأهالي الجزائريين

---

[1]-حلوش مرجع سابق، ص106.

[2]- الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال ، د ط ، موفر للنشر ،ص19.

[3]-أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، اط 2009، ج 2 ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر 2009، ص141..

سيعرض الجزائر إلى خطر حقيقي ...يعبر عن رغبته الأتية وهي : أولا ،" أن التعليم الابتدائي للأهالي يجب و قفه....)[1].

–وهكذا فإن بعض الفرنسيين الرسمين و الكولون قد وحدوا جهودهم لمنع الجزائريين من أن يقودهم ذلك إلى اليقضة و الوطنية فإذا أخذنا في عين الاعتبار عدد الجزائريين ، الذين كان حوالي نصف مليون فقط ، فإن الإحصائيات التالية سنوضح لنا فكرة عن قضية التعليم في الجزائر مقارنة بتعليم الكولون قروض بالفرنك للتعليم العام في الجزائر،1902–1908.[2]

السنة	التعليم العام للكولون	التعليم العام للجزائريين
1902	823،081،5	274،389،1
1903	978،558،5	165،179،1
1904	003،732،5	424،299،1
1905	368،847،7	234،314،1
1906	649،189،8	064،385،1
1907	390،955،8	464،549،1
1908	368،923،9	639،617،1

فإذا عرفنا أن هذه الإحصاءات قد أكدت في وقت تحسين التعليم للجزائريين زال استغرابنا من أنه لم يكن هناك أكثر من 450 متفقا جزائريا خلال هذه السنوات .

ديمرز بوسكي أحد المدافعين على فرنسا ، بأن نقص التعليم بين الجزائريين يرجع جع إلى الحواجز الشرعية و الدستورية و هو يقصد به " قضية الجنسية " فهو يقول على المرء أن يكون فرنسيا لكي يتمتع بكل الحقوق ، بما ذلك التعليم.[3]

وهذا ما سنربطه بموقف بعض رواد النخبة خاصة من جماعة المحافظين التي عارضت بشدة التجنيس و التغريب ، فيمكن أن نقول بأن هذه النخبة قد كانت وطنية و عدوة للوطنية

---

[1]–سعد الله ، مرجع سابق، ص141.

2–نفسه، ص192.

[3]–سعد الله، مرجع سابق،ص143.

في التقدم و التجبر عن طريق التعليم في الجزائر و لهذا السبب فإن هذه الكتلة كانت قد استعملت في بعض الأحيان من الكولون و الإدارة الفرنسية كغطاء لمحاربة الحركة الوطنية ، والنخبة الإصلاحية المنادية للتعليم و التعلم.[1]

لقد هز التدهور الذي مس التعليم تلك النخبة المثقفة سواء كانوا من القليدين أو المجددين، حيث كانوا مثقفين بأن الجزائر ستعود إلى الحلف إذا لم يلقى التعليم اهتماما و عناية، ونرى الشيخ ابن الموهوب يردد قوله،" إن الجزائر قد انحدرت إلى الهوة التدهور، فإنه بلا شك كان يقصد هذه الحالة الخطيرة للتعليم "[2].

وقد اقتنعت النخبة بأن النهضة التي بدأت لا تتقدم ولا يمكن أن تنجح من غير التعليم.[3]

ولهذا بأن الجزائر قد وصلت إلى أسفل نقطة في سلم التدهور ولكي تتخلص من هذه الحالة، يجب عليها أن تؤمن بالتقدم ، والتعليم بكل الوسائل ، و التسامح و العودة إلى منابع الإسلام الصافية ، و لهذا السبب أعلن ابن الموهوب الحرب ضد الجهل و الإجحاف و الكسل، لكي يحرر الجزائر من حالتها المنحطة.[4]

حيث أن التاريخ قد علمه بأن تحرر أي شعب يتوقف على يقظته العقلية فهو يرى أن كل الآفات التي كانت متسلطة على الجزائر لا تنتهي إلا بحلق المدارس، المدارس، ثم المدارس.[5]

وقد اقترح ابن الموهوب علاجا لهذا الانحطاط في مجال التعليم، اقترح على فرنسا أن تستمر و تضاعف من عملها الحضاري بالجزائر ، وهذا البرنامج يجب أن يتحقق عن طريق

---

[1]– سعد الله، مرجع سابق ، ص147..

[2]–نفسه ،ص143،144

[3]–نفسه،ص144.

[4]–نفسه، ص151.

[5]–نفسه،ص152.

تعليم تقدمي باللغتين العربية و الفرنسية و ركز هو وباقي أعضاء النخبة على ضرورة المساواة التامة بين الجزائريين و الكولون.[1]

ثانيا: موقف الكولون من النخبة

ولكن موقف الكولون معارضا لمطلب النخبة المتعلق بتعليم الجزائريين اللغة الفرنسية و تثقيفهم حيث يعتبرهم بأنهم جنس دنئ لا يمكن تقديره لأنه يرفض التقدم و ليس له قابلية للتعلم ، ويرى لموالاة المعارضون لإدماج الجزائري عن طريق المدرسة غير مجد لا نستطيع أن نجعل الجزائريين يفكرون بالفرنسية ، حتى لو علمناهم القراءة والكتابة باللغة الفرنسية[2] ويعتبر هذا من المبررات العنصرية طبعا . كما كانت له مبررات كالمبررات المالية السابق ذكرها ، كما كانت هناك مبررات سياسية أيضا من طرف الكولون حيث اعتبرت تعليم الجزائريين خطرا سياسيا واقتصاديا على المستعمرة حيث إذا تعلموا يصبحوا مستعدين للثورة وأعداء لفرنسا ، فلينظر هؤلاء أن تعليم الجزائريين يعني تكوين إطارات عسكرية من الشعب الجزائري تقود في النهاية إلى المطالبة بالحقوق و الثورة ضد الاحتلال الفرنسي .[3]

إن السياسة الاستيطانية الأوربية أفقرت الشعب الجزائري وجعلته غير قادر على إعالة أسرته واضطر إلى هجر التعليم ، ففي المدرسة العربية الفرنسية بتلمسان عثر في سجل المدرسة في جهة الملاحظات توقف تلميذ بسبب وفاة أبيه أو عدم قدرة الأب على تعليمه .[4]

وقد شهد شاهد من أهلها حيث صرح جول فيري Jull Ferry ، عندما ترأس لجنة مجلس الشيوخ التي زارت الجزائر سنة 1891 قوله للكولون الجزائري كثير من العيوب ، إنه ذاتي ،

---

[1]–نفسه،ص152.

[2]– نفسه ،ص15.

[3]-مدني حسين، مرجع سابق، ص105.

[4]- مدني حسين مرجع سابق، ص105.نفسه.

أي أناني لا يطالب إلا باستغلال الأهالي و الميتروبول ولا يتعدى مستواه الأخلاقي و الثقافي أفقه اليومي.4[1]

ولهذا فقد موقف الكولون من النخبة عدائي وكثيرا ما تعرضت النخبة إلى الهجوم من طرف المستوطنين الاروبيين متهمينهم على أنهم وطنيون ومصلحون إسلاميون ومتعصبون ،ومستعملون التقية لإخفاء مشاعرهم الحقيقية ضد فرنسا.[2]

ففي 1914 كتب أحد المعمرون المهاجمون للنخبة المحافظة على أنها مستلمة لفرنسا لفترة مؤقتة تحت ضغط السلاح فقط،وبناءا على رأيه أن المحافظين كانو يستعملون التقية وينتظرون للحظة المناسبة للثأر.[3]

كما كانت الطائفة الأخرى من النخبة تهاجمها في بعض الأحيان أيضا على أساس أنهم متعصبون وأنانيون.[4]

وقد أبرز علي مراد تخوف الأوروبيين من هؤلاء المثقفين موضحا أن المثقفين وقفوا بين نارين ،فمن جهة اولى اصطدموا بعدم تفهم إخوانهم لهم وجمودهم اتجاههم،ومن جهة ثانية كانو عرضة وهدفا لمكايد المستعمرة الأوروبية وسخريتها ،ومن هذا المنطلق اشتد الصراع ما بين الأروبيين والمثقفين الجزائريين حيث كانت وسائل كل طرف غير متكافئة،وكان رهان الصراع بينهم هو تحرير الجماهير الجزائرية كما يقول علي مراد،من التخلف والاستغلال والاستعباد ورفعهم عن طريق التعليم إلى مستوى المواطن الفرنسي.[5]

---

[1].نفسه-،106.

[2]سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية ،مرجع سابق،ص 157.

[3]نفسه،ص،157.

[4]حلوش،مرجع سابق،ص268.

[5]– حلوش مرجع سابق، ص:268.

فالأروبيون كانو يخافون من هؤلاء المثقفين الذين أرادوه ان يكونوا الرواد الطلائعيين لشعبهم،بحيث ان مجموعة من هؤلاء المثقفين قد لعبت دور المحامي للقضية الجزائرية بغعلانها الحرب ضد الظلم والطغيان والجهل والتخلف وهذه الصفات كلها رافقت الشعب الجزائري منذ التسلط الاستعماري عليه.

إعتبر الأوربيون جماعة النخبة المثقفة أنهم زعماء وطنيين بإمكانهم تجنيد شعبهم وقيادته إلى المواجهة مع الاستعمار ومن هنا أصبحوا ملاحقين من طرف الاوروبيين بلا رحمة بلا هوادة لأنهم الأعداء الحقيقين لفرنسا. [1]

وقد وصفوهم بأنهم فخورون واعون بدورهم يحملون معهم أفكار سيئة غير راضين بالحالة التي هم فيها ، طموحون حالمون بدور هام يلعبونه في شؤون بلادهم.[2]

ونتيجة للخلافات المتراكمة التي أدت بتطور هذا الصراع بين الاروبيين والمثقفين الجزائريين من الميدان الاجتماعي ليأخذ طابعا سياسيا،ثم تطور فيما بعد إلى عداوة مكشوفة لعبت فيها الصحف وجرائد المقاطعات دورها الاستعماري ما دامت هذه الاخيرة بيد الأوروبيين وحدهم ،وبدأت عناوين الصحف تتكلم عن هؤلاء المثقفين مبرزة مخاطرهم بتركيزها على مطالبهم الاجتماعية والسياسية التي تريد ان تجعل منهم مواطنين فرنسيين وليس رعايا فرنسيين ،يتمتعون بالمستوى الأوروبي نفسه.[3]

فورد أن في البرقية الجزائرية وبرقية قسنطينة اتهمت هؤلاء المثقفين بالتآمر الإسلامي أو بمعنى آخر أن مطالبهم تشبه مطالب الشباب والوطنين في المشرق العربي ،ولتوجيه سمعتهم تفننت الصحافة والدعاية الاستعمارية بإعطائهم ألقابا متعددة حتى تجعلهم على مرأى ومسمع

---

[1]–نفسه،ص268.

[2]نفسه، ص268.

[3]–حلوش ، مرجع سابق، ص: 268.

من الناس جميعا ومن الوسط الاستعماري الأوروبي خاصة ومن هذه الألقاب :الشباب الجزائري أو الفتيان الجزائريون.[1]

وأدى الأمر ببعض الأوربيين إلى حد رفض تعليم الجزائريين والاكتفاء بإعطائهم التعليم الذي لا يتعدى مستوى الشهادة الابتدائية ،لأن التعليم المتطور يعطي في نظرهم شبه علماء وضعفاء طموحين ،مع العلم أن في هذه الفترة أي قبل الحرب العالمية الاولى اشتد فيها الحماس الجزائري للتعليم والالتحاق بالثانويات الشيء الذي زاد من مخاوف الأوروبيين الذين استطاعوا التأثير على الحاكم العام (لوتو)، الذي غير موقفه لإعادة سياسته التقليدية في الشؤون الأهلية ،وإرجع التعليم الثانوي إلى سابق عهده ليخص أطفال الأسر لتكوين المبشرين المقبلين لأفكار الاستعمار ، واكتفى لوتو بتخصيص المنح الدراسية إلى أبناء المتطوعين في الجيش الفرنسي ،كما ان الوفود المالية عارضة من جهتها وبشدة إعطاء منح التعليم الثانوي التي تجعل الأهالي يحملون شعورا متطرفا بدورهم.[2]

لقد امتنع الاروبيون ووقفوا أمام أي تحسن قد يسمى بالوضعية التعليمية للجزائريين حيث أنها كانت تختفي وراء مهمة التمدين الكاذب التي زعمت الإيديولوجية الكولونيالية أنها واجب يقع عاتق فرنسا.[3]

وظل الاروبيون يعارضون التعليم الثانوي بإعطاء التعليم الابتدائي العالي لتخريج عمال حرفيين يحتاجهم الكولون،فالنائب بربودات (Barbedette)قد قال من فائدتنا ومصلحتنا خلق برجوازية محافظة من التجار والملاكين الصغار وليس العمل على زيادة عدد المتمردين. [4]

---

[1]–حلوش مرجع سابق ص 269.

[2]–نفسه، ص: 269.

[3]محمد العربي ولد خليفة ،الإحتلال الإستيطاني للجزائر،مقاربة للتاريخ الإجتماعي والثقافي ،منشورات ثالة،الجزائر،2005،ص،131.

[4]–نفسه.ص: 131.

وأكثر من ذلك فقد حاول الأروبييون إقناع الحكومة العامة بإدخال فكرة التعليم الإبتدائي العالي في أذهان وعقول الاهالي لان المهمة الانتقائية التي تبنتها المدرسة الفرنسية ،أي الجمهوريين مست مباشرة تفوق الكولون لان وجود متعلمين من ذوي الشهادات الصغيرة أو المتوسطة كالشهادة الابتدائية وغيرها في مستعمرة استيطان كالجزائر يمثل منافسة قوية للأروبيين من مستوى متوسط.[1]

ومن جهة أخرى قد هاجمت النخبة الكولون الاروبيين واعتبروهم عنصرين استبداديين وأنانيين وكان جول فيري قد أعطى وصفا لهؤلاء الكولون بأنهم أنانيون ولا يحبون غيرهم ،بل إن همهم كان استغلال المستعمرة وفي الوقت نفسه الميتروبول ،وعندما وقف الكولون ضد آمال جماعة النخبة السياسية رد عليهم الأخيرون بأن موقفهم غير عادل .[2]

اهتمت النخبة الكولون بإضطهادات الأقلية الجزائرية والحصول على رضى الفلاحين عن طريق سوط الإداريين في البلديات المختلطة كما أنهم البعض الآخر الكولون بزرع الحقد بين المجموعتين الجزائرية والفرنسية .[3]

غير أن النخبة تظل ضرورية على الأقل في الامور الإدارية المتعلقة بالنظام الإستعماري في الجزائر ،وهذه هي المهمة الرئيسية للمدرسة الفرنسية.[4]

لقد كان الكولون متميزا بموقفه العدائي اتجاه النخبة الجزائرية المثقفة واتجاه تعليمها ،وقد أثر موقفهم هذا في مسار الحركة الوطنية والإصلاحات التي كانت تريد أن تجسدها النخبة على أرض الواقع ولهذا فيتجه معظم الكتاب سواء كانوا جزائريين او فرنسيين بأن وصفوا اللوم على كاهل الكولون من أجل العواقب السيئة للسياسة الفرنسية بالجزائر.

---

[1]–ولد خليفة مرجع سابق،ص131.

[2]–نفسه.ص: 131.

[3]–سعد الله،مرجع سابق،ص164.

[4]–نفسه.

فقد كان الكولون تقريبا هم المسيطرون الحقيقيون على الشؤون الجزائرية ،وهذا ما أثر على الحركة الوطنية الجزائرية [1]خاصة في مجال التعليم تتسبب في تدهور التعليم وعدم تقدمه من خلال ما كانت تصدر عنها من قوانين تتعب الشعب الجزائري وتجعله غير قادر على تعليم أبنائه وبالإضافة إلى موقفها إتجاه النخبة بالتصدي لها من خلال الحد من نشاطاتها كإيقاف صحفها ،واتهاماتها المتكررة،ومطالبها الموجهة ضد النخبة للسلطة الفرنسية والتي إن كانت في ظاهرها تخدم الشعب الجزائري إلا انها تحمل في محتواها العكس حيث أن أي قرار كان يصدر هو لصالح الكولون والكولون بالدرجة الاولى.

المبحث الثالث: انعكاسات جهود النخبة الإصلاحية الجزائرية.

أولا: أثرها في الحركة الوطنية الجزائرية:

أ-داخليا: لقد ناضلت النخبة الجزائرية بضيفها الاستعمار الفرنسي منذ دخوله الجزائر سنة1830م وذلك كان في حدود إمكانياتها المتاحة فقد حاولت النخبة التقليدية التي كنا قد أشرنا إليها بجماعة المحافظين الذين فضلوا الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم وأصروا على التمسك بمبادئهم ودينهم، واتسمت بمعارضتها الشديدة للتجنيس والخدمة العسكرية تحت راية العلم الفرنسي فقد حاولت بكل ما أوتيت من قوة من إفشال المخططات الاستعمارية المتمثلة في الفرنسة، التجنيس، الإدماج...الخ مختلفين في الاتجاه مع النخبة الجديدة التي دعمت العيش على النمط الأوروبي وربحت بحضارة فرنسا.

فقد اختلفت النخبتين في المطالب الموجهة للاستعمار، حيث في حين كانت النخبة الجديدة تطالب بالمساواة في الحقوق مع الأوروبيين كانت النخبة المحافظة تطالب بالمساواة في الحقوق مع الأوروبيين كانت النخبة المحافظة تفضل الانفصال عنها تماما.

[1] **نفسه ص: 342.**

غير أن كلا الاتجاهين جعلا مطلب التعليم مطلبهم الأساسي فلقد كان التعليم أعلى مطالب النخبة من فرنسا، فقد رفضوا الحجة الاستعمارية القائلة بأن الجزائريين جنس غير قابل للتعليم، انطلاقا من أنفسهم عندما فتحت لهم أبواب التعليم وفرض العمل"[1].

كما أن جماعة النخبة جماعة النخبة الجديدة كانوا شفويين بأن يلعبوا دور الوطنية يريدون من خلاله تطوير المجتمع الجزائري التقليدي إلى مجتمع عصري وحديث ذو طابع غربي، وللوصول إلى هذه الغاية لم يرددوا بالتزوج في كثير من الأحيان من ناد فرنسيات وأوروبيات متحدين بذلك غضب جماعة النخبة المحافظة الذين اعتبروا عملهم هذا كفرا وارتدادا عن الدين الاسلامي.

وقد اختلفت هاتين النخبتين الجزائريتين في الوسائل التي استعملوها للتعبير عن مطالبهم

فالنخبة التقليدية أو المحافظة قد ناضلت الاستعمار الفرنسي بواسطة الأدب الشعبي والقصص الوطنية[2] .

وقد لعب الأدب الشعبي دورا حاسما في المحافظة على روح وثقة الكيان الجزائري، ففي الأسواق العامة والمناسبات الاجتماعية والمقاهي الشعبية كان المداح يقص قصصه وأساطيره مثيرا للعواطف ومذكرا وبالغزوات ومحمولا الهزيمة إلى نصر، ومؤكدا لجمهوره أن إرادة الله ستعبث لهم ذات يوم منقذا على أية حال[3]

وبالإضافة إلى أن الأدب الشعبي كان هناك خلف أبواب الجمعيات أو الطرق الدينية تراث غني عن المعتقدات،والعادات والأساطير التي كانت تنتقل إلى المريدين خلال نظم سرية وقنوات غامضة.

---

[1]– حلوش، مرجع سابق، ص271.

[2]– حلوش، مرجع سابق، ص270.

[3]– سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص70.

ورغم أن هذا التراث كان يبدو فيه بعض التخلف والخرافات، فانه قد حافظ على روح المقاومة فقط ولكن أيضا على روح البقاء الوطني، إن بعض المؤرخين الفرنسيين يسمي ظاهرة المحافظة على الذات الوطنية ب" عزيزة البقاء لدى الجزائريين"[1]

وبناءا على ما سبق فلقد كان للأدب الشعبي أثرا بالغا في نفوس الجزائريين تجلى في إثبات وجودهم وإصراره على المقاومة والإيمان بالنصر.

ويذكر أن بعض المؤرخين الفرنسيين أنفسهم قد اعترفوا بوجود الكيان الجزائري، فالمؤرخ بول غافاريل قد قال بأن فرنسا كانت تجارب في الجزائر"أمة' مدفوعة بالدين والوطنية فهو يقول: "إن الحرب قد أعلنت ضد أمة كاملة مدفوعة بعصبية ثنائية: الوطن والدين" ويقول المؤرخ بوليو: " إن فرنسا قد استحوذت عام1830 على بلاد مرعية ومحمية ومسكرنة بعدد كبير من المحاربين وسكان لا يستسلمون"[2]

فبناءا على رأيه أن السلالة الجزائرية كانت قد نشأت هناك منذ قرون، متمتعة بحضارة متقدمة ومجتمع منظم مع "عاطفة واضحة بشخصيتها"[3].

أما الأستاذ ايميري فيشير إلى أن أهم سبب في استمرار وعنف المقاومة الجزائرية هو التلاحم الجماعي الذي لم تكن فرنسا قادرة على تلممه وتجريده من حدته[4].

وفي 17أوت 1862 كتب الدكتور فينال [5]الذي قضى حياته في الجزائر إلى صديقه إسماعيل عريان: " بأننا قد ارتكبنا عملا فاحشا لا أخلاقيا لا مثيل له،مدعين الرد على ضربة مروحة،

---

[1]– نفسه، ص70.

[2]– سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ، مرجع سابق، ص 71.

[3]– فرحات عباس: ليل الاستعمار، ص54.

[4]– سعد الله، مرجع سابق، ص7.

[5]– الدكتور فيتال: كان جراحا عسكريا فرنسي، ولد في1810م وقد مارس مهنته في الجزائر من1837إلى وفاته سنة1874 للمزيد أنظر: سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، مذكور، ص71

لقد اغتصبتم مسيئة وقطرا" ويعترف آخرون بأن كان للجزائر مشاعر وطنية والتصاق بالأرض[1] وحضارة فإنهم يرون أنها لم تحول هذه الواق إلى ضمير وطني إلا بعد الاحتلال[2]

ولم يكن المؤرخون والمثقفون الفرنسيون هم وحدهم الذين أكدوا الكيان الجزائري، بل العسكريون ورجال الدولة أيضا وعبارة القومية أيضا كانت غالبا ما استعملت من الفرنسيين بعد سنة1834، بخصوص الجزائر فقد اعترف الدوق الدوليان الذي كان يصف الوضع في الجزائر بعد إحدى المعارك قوله:" أن الشعب الجزائري قد تشتت لكنه بقي صامدا بفضل وحدته ومعنوياته ومهاراته"[3] .

كانوا يعلمون أنهم قد انتصروا وبينما كان الجزائريون يعرفون بأنهم كانوا منهزمين فإنهم قد استمروا في مقاومتهم بكل الوسائل التي يملكونها، وعلى جميع مستويات مجتمعهم، فثورات الفلاحين ونظم الجمعيات الدينية السرية، والأدب الشعبي لم تكن إلا بعض مظاهر المقاومة المتواصلة ضد حكم مفروض.

وقد انعكس نشاط النخبة الجزائرية على الشعب الجزائري بالإيجاب فقد حققت بفضل نشاطها إثبات وجود الكيان الجزائري أكثر مما كان عليه.

هذا على غرار الرصيد المعرفي الذي تركته شعبها فقد ساهمت هاته النخبة في تأليف العديد من الكتب التي تخدم مجتمعها وتهدف إلى التحسين من مستواه العلمي خاصة كتب الأدب العربي التي اهتمت بها النخبة (كابن شنب)، فقد اهتم كثيرا بهذه إعادة وكان حريصا كما سبق ورأينا على تدريسها وتصحيحها من أي خطأ أو لفظ أجنبي إلى جانب بن سماية و المجاوي فقد تكونت هذه الجماعة من النخبة جيلا من الطلاب كالأستاذ حمدان لونيسي وغيره

---

[1] **–julieu charles andré histoire de l'algerie coutempoicaire 1830–1870 puis presses universitaire de France 1964 p19–20.**

[2]– سعد الله أبو القاسم، مرجع سابق، ص71.

[3]– سعد الله ، مرجع سابق،ص72.

الذين هو بدورهم اكتسبوا رصيدا معرفيا أصيلا وظفوه في كتبهم التي ألفوها والتي استفادت منها الأجيال

ومن النتائج الايجابية الهامة التي انعكست على المجتمع الجزائري هي أنها وصفت الأسس والمبادئ الأولية للحركة الوطنية الجزائرية وكان أثرها على الشعب الجزائري إلى أبعد من ذلك بكثير حيث أنها سببا وعاملا كبيرا ساهم في التحضير لثورة الجزائريين1954م

وهذا طبعا يرجع إلى الوسائل التي استعملتها النحبة الجديدة في خلقها لصحافة وطنية، ونوادي وجمعيات إصلاحية مشددين على مطلبهم الأسمى وهو التعليم حيث ساهمت هذه الوسائل في خلق أساليب جديدة للمقاومة ضد الاستعمار ولتحقيق مطالبها المتمثلة في المساواة في الأحوال الاجتماعية والإدارية

إذ لقد لعبت عناصر النخبة دورا هاما في مسار الحركة الوطنية فقد مثلت صحافتهم في إبراز" فرنسا الديمقراطية" التي كانوا يؤمنون بها ويعلقون عليها آمالا كبيرة في تحقيق المساواة بين فئات المجتمع[1]

ب- خارجيا:

لقد ساهمت الأساليب الجديدة التي استعملتها النخبة في المطالبة بحقوقها في التعريف بالقضية الجزائرية دوليا وعالميا.

فقد اغتنمت النخبة فرصة مناقشة المجلس الوطني الفرنسي سنة 1887م لمشروع تجنيس الأهالي بطريقة جماعية، فأرسلوا عريضة باللغة العربية واللغة الفرنسية إلى المجلس الوطني الفرنسي أعلنوا فيها معارضتهم المطلقة للمشروع، وقدموا مطالبهم المتمثلة في الاحتفاظ

[1]- حلوش، مرجع سابق، ص272.

بتقاليدهم وقوانينهم وشخصيتهم الخاصة وتنظيم المدارس العربية ونشر تعليم العربية بين الجزائريين والاعتراف بالتعليم الوطني وإنعاشه واستعادة واحترام القضاء الإسلامي[1]

وبناءا على هذا فإن لجنة مجلس الشيوخ الفرنسية آنذاك كان لها دور هام لأنها ساهمت في يقظة الجزائريين الذين كانوا قد بدأوا يعون مكانتهم، إلا أن العامل الأهم هو أنها ساهمت في التعريف بالقضية الجزائرية عموما وذلك بعرضها على الرأي العام الفرنسي فأعطت بذلك وسائل يستغلها الفرنسيون العاطفون على الجزائريين[2]

فيقول أحد المؤرخين الفرنسيين بأن حق التمثيل النيابي الذي طالب به الجزائريون قد سجل تغييرا كبيرا في آرائهم السياسية المتعلقة بالشعب الجزائري.

والقوة التي كانت وراء معركة العرائض هي: "لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين" التي طالبت بحقوقها السياسية كمواطنين دون أن تطالبهم بالتخلي عن أحوالهم الشخصية فقد ساهمت هذه الوسيلة في بسط قضيتهم أمام الرأي العام الجزائري والفرنسي[3] .

ومن أهم الانعكاسات الخارجية التي حققتها النخبة هي:

-حركة الجامعة الإسلامية التي ساهمت في استقطاب النخب العربية الأخرى ودعم الثورة الجزائرية قبل حدوثها.

فقد أخذت مساهمة الجامعة الإسلامية في الحركة الوطنية الجزائرية أشكالا مختلفة:[4]

أولا: أن الحركة الوطنية قد حصلت منها على عوض الصراع مثلا: فرنسا مقابل الجامعة الإسلامية بدل فرنسا مقابل الوطنية.

---

[1]- سعد الله، مرجع سابق، ص174.

[2]- نفسه،ص176.

[3]- سعد الله، مرجع سابق،ص 180.

[4]- نفسه، ص119.

ثانيا: قدمت إليها أفكارا وتصورات جديدة من خلال الكتب والصحافة.

ثالثا: شجعت الجزائريين على الهجرة نحو الشرق الأدنى.

رابعا: عرفت بالقضية الجزائرية من خلال مهاجمتها على فرنسا لإدخال إصلاحات جديدة وأخيرا أنها ساعدت على نقل مشاكل الجزائري إلى مجال أوسع بدل خنقه وراء الستار

وبناءا على بعض الآراء المعتمدة فإن من بين النتائج المهمة لحركة الجامعة الإسلامية في الجزائر هي حركة الهجرة التي بدأت في العقد الأول من العشرين.

لكن رغم الكفاح الذي قامت به النخبة الجزائرية لم وإلحاحها على تحقيق مطالبها بطريقة سلمية يمكن أن نمنحها المساواة فإن فرنسا لم تتحرك إلى الأمام بخطوة[1] لإرضاء الآمال الوطنية بل بالعكس فقد رأينا أن الفترة بين1890-1912م قد شاهدت تطبيق أسوء القوانين والإجراءات الاضطهادية، وهذا ما عكس تماما مطالب النخبة ويبدو أن موقف الفرنسيين غير المرن كان مخيبا لآمال وبلا تغيير عندما نأخذ في الاعتبار أنه قد اتخذ عندما كانت حركة النخبة الجديدة تمر بمرحلة النهضة وعندما كانت الحركة القومية العالمية في أوج تطورها[2]

ثانيا: أسباب فشل النخبة الجزائرية .

رغم ما حققته النخبة الجزائرية من نشر العلوم والفنون والآداب في مجتمع كان في حالة انتقاليه والاجتهادات المتعددة حول المدخل إلى حداثة العصر المصحوبة أحيانا، صراعات حادة بين النخب، نرجع حدتها إلى عوامل من بينها:

احتكار المستوطنين الأجانب للحداثة ومنتجاتها في أغلب مناطق الجزائر، وحرمان الأغلبية الساحقة منها في المدن والأرياف وهي تمثل10/9 من السكان وإقصاء الريف تماما

---

[1]– – سعد الله مرجع سابق، ص:119.

[2]– نفسه،ص:186.

من أي تحديث للهياكل القاعدية وأدنى شروط الحياة كما كانت عليه بين النصف الثاني من القرن 19 والنصف الأول من القرن العشرين.

وبالإضافة إلى أن كانت هناك نسبة قليلة من الجزائريين الذين حدثتهم الإدارة الكولونيالية، حتى انطلاق الحركة الوطنية استخدموا كوسطاء مع الأنديجينا ولم يتمكنوا من تنوير المجتمع ونظرا إليهم الشعب في أغلب الأحيان بعين الريبة حيث أنهم لم يحظوا بثقة السلطات الكولونيالية فضلا عن جماعات الكولون التي كانت ترى فيهم خطرا يمدد تأييد هيمنتها على الجزائر[1]

لقد كان هذين العاملين سببا في تعذر انطلاق حركة تحديثه مستقلة من النخبة يمكن أن تنتشر داخل المجتمع وتؤسس الحداثة وتجديد انطلاقا من تراثه الوطني في مختلف معطياته وتجلياته[2]

بالإضافة إلى أن بعض عناصر من النخبة قد اختفت نتيجة الاحتلال حيث أن معظم زعماء المقاومة قد نفيوا من بلادهم متهمين بالتآمر ونفس المصير لقيه كل المثقفين الجزائريين ذوي الرأي والتأثير السياسي[3] .

بما ذلك مفتيان يعتبران أعلى سلطة في الشؤون الدينية والسياسية وهذا ما ترك بعض الفراغ.

لقد كانت النخبة الجزائرية بكل أصنافها تركز على طلب التعليم فاعتبروها كوسيلة لاسترجاع مكانتهم الضائعة وينص بعض المؤرخين ك" دي بيلي" أن النخبة في بعض الدول العربية الأخرى قد طالبوا بالتعليم منذ أمد طويل على عكس النخبة الجزائرية قد بدأوا حملتهم متأخرين

---

[1]– ولد خليفة، مرجع سابق،ص176.

[2]– نفسه، ص176.

[3]– سعد الله،مرجع سابق، ص171.

وبالإضافة أن النخبة الجزائرية لم تظهر اتجاهات معادية للأوروبيين كالتي أظهرتها دول أخرى كمصر، رغم أنهم كانوا أكثر حربية ومغامرة.

ومن الأسباب الداخلية التي كانت بارزة في فشل النخبة هي سوء التنظيم حيث أن النخبة الجزائرية كانت موزعة ومعزولة وبدون حقوق سياسية.

وبالإضافة إلى الوضع السائد آنذاك لأن النخبة قد واجهت عراقيل متعددة، منها طبيعة المجتمع الجزائري، وسوء التفاهم وسياسة الإدارة الفرنسية الاضطهادية، ولكن النخبة في ثورتهم لم ينادوا بالعنف والتطرف، بل نادوا بالعدل والمساواة والتسامح.

لقد أرادوا أن يبنوا مجتمعا جزائريا جديدا قائما على التقدم والتسامح والمساواة، إن تعليمهم ونظرتهم الشاعرية قد جعلت منهم محامين لم يرو الضوء أيدا كما جعل موقفهم المعتدل يبدون ضعفاء وغير مدعمين في عين الإدارة الفرنسية، ونفس الموقف أيضا عزلهم عن شعبهم، ولم يكسبهم ثقة الكولون.

ولعل الضعف الرئيسي لهذه الطبقة يتمثل في عدم وجود منظمة فعالة وقيادة قديرة، فبرنامج النخبة بالرغم من أنه كان معتدلا ومتناقضا في بعض الأحيان،كان جيدا إلى حد أنه كان يصلح أن يكون قاعدة لحركة وطنية جزائرية ومنظمة تحسن استقلال المواقف المناسبة[1] . ونظرا إلى أن المحافظين لم يكونوا ينتمون إلى منظمة منضبطة محددة،فإن برنامجهم لم يكن محددا بوضوح، كما أن معظم هؤلاء الأعضاء كانوا على اتفاق بأن الجزائر لا تستطيع أن تهزم فرنسا وحدها، لذلك فإن الإبقاء على الشخصية الجزائرية ومقاومة خطط الاستعمار لإذابة الجزائر والتضامن بين جميع المسلمين كانت في نظرهم هي ضمانات الانتصار.

[1]– **سعد الله، مرجع سابق،ص 172.**

وقد اصطدم جماعة النخبة بأمية وكل وارتضاء وضياع شباب المدن الجزائرية وعدم المحافظة على تقاليد القومية[1].

فبين هذا وذاك قد تعددت الأسباب لنقل هاته النخبة غير أن السبب الرئيسي الذي أراه هو انقسام النخبة وعدم اتفاقها حيث أن النخبة التقليدية كانت ضد التجنس والإدماج والعيش على النمط الأوروبي وهذا عكس ما أرادته النخبة الليبرالية التي رحبت بالحضارة الجديدة الأوروبية.

فقد كانت تعتبر هذه الأخيرة نفسها أقلية منفصلة عن أغلبية ناقصة تتكون من فلاحين، جهلة، وعلماء رجعيين.

وقد وصفهم الكاتب الفرنسي جون جوريي: بأنهم أناس ضائعون بين الحضارتين العربية والأوروبية، ويقال أنه قد قال عنهم:" إننا مزقنا الشبان الجزائريين بين حضارتين: وسرعان ما فقدوا الاتصال بحضارتهم، ولكنهم غير قادرين على الدخول في حضارتنا إلى بصعوبة"[2]

فنظرا لهذه الأسباب قد دخلت النخبة الجزائرية في كفاح مستميت نتيجة الانقسامات التي شهدتها النخبة الجزائرية في برامجها ونتيجة الانقسامات الفكرية والإيديولوجية بين المعربين والمفرنسين، فقد أضعفت الخلافات المذهبية والإيديولوجية من تأثير النخب"

---

[1]– نفسه،ص 165.

[2]– سعد الله، مرجع سابق،ص168.

خاتمة

خاتمة.

من خلال بحثنا هذا توصلنا إلى تقدير الدور الوطني للنخبة الجزائرية رغم الوضع الذي كان سائدا خلال تعقد الأحوال في القرن العشرين ومواجهتهم للعراقيل التي تعددت من كل جهة فزيادة على السياسة الاستعمارية الاضطهادية سيطرة كولون على الوضع السائد آنذاك فقد اصطدمت أيضا بطبيعة المجتمع الجزائري ورفضهم لمبدأ المساواة التي نادت به النخبة الجزائرية، وحسب المؤرخ أبو القاسم سعد الله، أن النخبة لما طالبت بالمساواة فعلوا ذلك في الحقيقة لكي يزكو أنفسهم ضد قانون الأهالي فالمساواة في الحقيقة كانت وسيلة لتحقيق بعض الأهداف السياسية التي كان الحصول عليها غير ممكن بدون ذلك.

بناءا على هذا الإنقسام الذي حصل بين النخبتين الجزائريتين يعد عاملا كبيرا ساهم في أهم عدم واستقرارها فقد كانت النخبة المحافظة تفضل الحفاظ على عاداتها وتقاليدها وترفض تمام الرفض الاندماج في المجتمع الفرنسي وخاصة فيما يخص قضايا التعليم والتربية، وخير مثال على ذلك ابن شنب فبالرغم من اتقانه لعدة لغات أجنبية إلا أنه ظل مصرا على التكلم باللغة العربية حتى في المؤتمرات الدولية.

وقد اختارت هذه الجماعة من النخبة أن تقاوم الاستعمار بأسلوبها الثقافي من خلال نشاطها التعليمي والتربوي الذي قامت به في المؤسسة الثعالبية التي تكونت منها أجيال فقد ركزت هذه النخبة على تعليم اللغة العربية وأصولها وركزت في تربية طلابها على تمسك بالدين الاسلامي والحفاظ على مبادئه لأنه يحمي الشخصية العربية الاسلامية وهويتها.

فقد صبت كل جهودها على التربية والتعليم إلى جانب تراثها الفكري المتمثل في الكتب القيمة في مختلف العلوم وترجمتها المتنوعة ونقد عدد كبير من الكتب زيادة إلى تأليف الشعر والمقالات القيمة.

فقد حققت النخبة الجزائرية تراثا جزائريا أصيلا إلا أن رغم هذا الكفاح فإن النخبة الجزائرية لم تحقق الاستقرار والوحدة فيما بينها رغم أن برنامجها كان في كثير من الأحيان معتدلا ولكنه قد احتوى على كل الخطوات الضرورية للشخصية الجزائرية ما عدا الاستقلال فإن الجزائر قد فشلت في تحقيق أهدافها عندما حلت سنة 1914.

حيث يتفق أغلب المؤرخين إلى أنه لم تكن هناك قوة ثالثة لتشجيع الحركة الوطنية نظرا للوضع المضطرب أنذاك، كعامل خارجي أما العامل الداخلي الذي يتجسد في سوء التنظيم ونقص التجربة، وسوء فهم السياسة الفرنسية والإيمان ببعض وعود فرنسا بالإضافة إلى اختلاف اتجاهات النخبة الجزائرية بضيفها الذي شكل اختلال كبير في ميزان الحركة الوطنية الجزائرية.

الملاحق

الملحق رقم 01. المصدر: جيلالي صاري ص: 44.

عبد القادر المجاوي: 1848م –1914م.

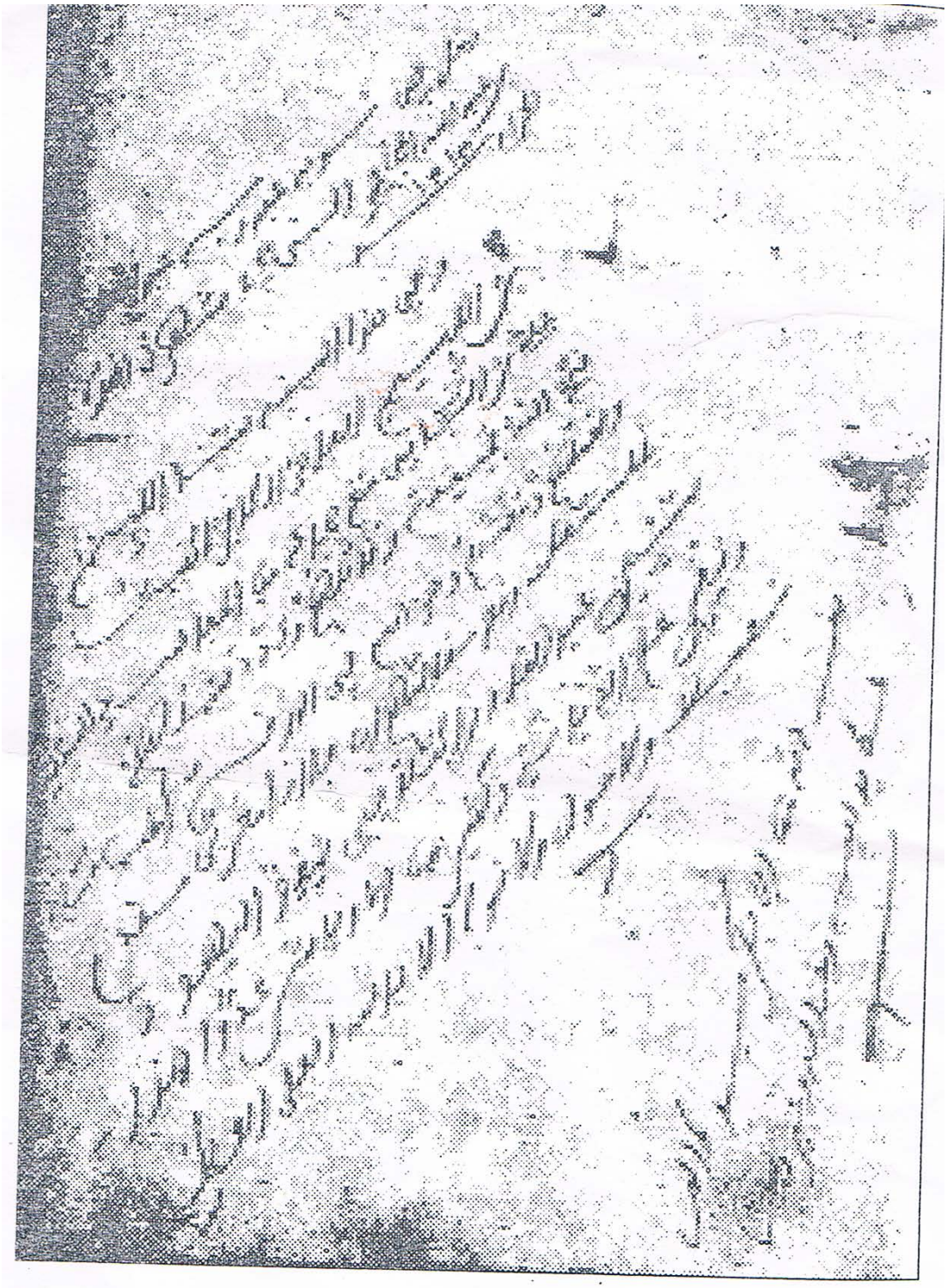

3 – الترجمة الذاتية لعبد القادر مجاوي.

الملحق رقم 02.

عنوان الوثيقة: صورة لمحمد ابن ابي شنب.

المصدر :جيلالي صاري ص: 71.

الشيخ محمد بن ابي شنب. 1869م-1929م

اول أستاذ جامعي، شهادة الدكتوراه في الاداب وعضو المجمع العلمي العربي.

https://ar.wikipedia.org/wiki

الملحق رقم 03.

عنوان الوثيقة: الشيخ عبد الحليم بن سماية الجزائري جالسا وإلى جانبه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في أول زيارته للجزائر سنة 1903.

الشيخ عبد الحليم ابن سماية الجزائري جالسا
وإلى جانبه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده يوم أن زار الجزائر سنة 1903م.

المصدر: جيلالي صاري.

عبد الحليم بن سماية: 1866/1933 الجزائر، مدرس وصحفي وكاتب.

قائمة البيبليوغرافيا

- أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، تر: محمد رؤوف القاسم الحسني، الأنسي، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1907.
- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج،8، الطبعة الثانية، دار المغرب الإسلامي ، بيروت لبنان.
- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1،ج5، دار الغرب الغسلامي،بيروت،لبنان،2005.
- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج4.
- ابو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ،ط1، دارالمغربالاسلامي،ج3، بيروت،1998م.
- أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، الطبعة 2009، الجزء الثاني ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر 2009.
- أحمد توفيق المدني: مذكرات حياة كفاح،1925-1954، ج2، مج2،بدون طبعةن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1977.
- أيو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية،1900-1930، دار الآداب بيروت، 1969.
- شارل روبير آجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج1، تر: فرحات المسعودي، أ، بكلي،دار الرائد للكتاب،2007، الجزائر.
- شارل روبيرآجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا،1871-1919، نقله الى العربية أ جاج مسعودي أ بكلي،ج1،دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007.
- شارل روبير وآخرون: تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 الى اندلاع حرب التحرير1954، تر:عياش سلمان، مج 2،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2010، الجزائر.
- تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر،ط،2007،منشوراتANEP ، الجزائر،2001.
- تركي رابح: ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، 1889-1940، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1970.

- توفيق مزاري عبد الصمد،ملتقى حول اهمية الاصلاح وعوامله،المدرسة العليا للاداب والعلوم الانسانية،(بوزريعة)،الجزائر،منشورات البناء الحضاري للمغرب الاوسط،الجزائر الى نهاية العهد العثماني،الجزائر،14 15فيفري،2009.
- جيلالي صاري: بروز النخبة المثقفة الجزائرية،1850-1950،دارالمعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر 2010.
- رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1935هـ-1975م.
- رابح لونيسي : تاريخ الجزائر المعاصر،1830-1989،ج2، دار المعرفة ،الجزائر، 2010.
- زمير احدادن، الصحافة الاسلامية الجزائرية من بدايتها إلى سنة 1930، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، .
- سميرة أنساعد ،اسهامات محمد ابن أبي شنب في التعريف بالتراث الرحلي في الجزائر ، الملتقى الدولي بجامعة الجزائر ، 15-17 ديسمبر 2009 .
- صالح الخزفي، محمد سعيد الزاهري: دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986.
- الطاهر زهروني ، التعليم في الجزائر قبل و بعد الإستقلال ، دون طبعة ، موفر للنشر .
- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- عبد الرحمن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام، الجزء الخامس، ط 2014، شركة دار الأمة للطباعة والنشر.
- عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2010.
- عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبدو وعبد الحميد بن باديس نموذجا، د ط، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2005.
- عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية الجزائرية1931-1945،ط1،دار البحث بقسنطينة،1981.

- عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925-1954، ج 1 ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2004-2005.
- عبد النور خيثر: منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية1830-1654، ط4،(بئر رايس)، الجزائر،2010.
- عمار الطالبي :ابن باديس حياته وآثاره،ج1، دار اليقظة العربية،بيروت،لبنان،1388هـ-1986م.
- غي بريفيلي: النخبة الجزائرية الفرانكفونية1880-1962، تر: م حاج مسعود، أ.بكلي،ع بلعربيي، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007.
- قنان جمال: التعليم الأهلي في الجزائر1830-1994، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2007.
- كريم مقنوش : محمد ابن أبي شنب أول جزائري متحصل على الدكتوراه في عهد الإستعمار، مجلة الراصد ، العدد الثاني ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر2002.
- كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر، التأسيس والتطور 1850-1951،قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، السنة2007-2008، مذكرة انيل شهادة ماجستر في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر.
- محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر، دراسات ووثائق جديدة تنشر لأول مرة دط، دار ابن كثير، بيروت، 2001.
- محمد العربي ولد خليفة ،الإحتلال الإستيطاني للجزائر،مقاربة للتاريخ الإجتماعي والثقافي ،منشورات ثالة،الجزائر،2005.
- محمد بلعباس : تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعاصرة، الجزائر،2009.
- محمد زمام، محمد بني أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية، مخبر الموسوعة الجزائرية المسيرة،جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2007.
- محمد صالح الصديق، محمد بن أبي شنب،1869-1929، أصالة وحداثة، ايمان وأخلاق، في مجلة الثقافة الإسلامية، مديرية الثقافة الإسلامية'، العدد الأول،نصف سنوية، 2005.

- محمد طهاري: الحركات الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، الكتاب الثالث، ط1،شركة دار الأمة، 1999، الجزائر.
- محمد علي دبوز: ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة،ط1،ج2،(د.ت) .
- محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من1874-1954، ط1،دار الغرب الإسلامي،2007.
- موسى صاري ، سلسلة أعلام الجزائر، دار ابتكار للنشر والتوزيع، 2011، الجزائر.
- نوارة حسين: المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير من سنوات الجمرالى السنوات اللهب، من بداية القرن العشرين الى غاية الإستقلال، تر سعيدي فتحي، موفم للنشر، الجزائر،2013.
- يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من1830-1951، ط.خ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.

ثالثا: المراجع باللغة الأجنبية:

- JULIEU CHARLES ANDRE HISTOIRE DE L'ALGERIE COUTEMPOICAIRE 1830-1870 PUIS PRESSES UNIVERSITAIRE DE FRANCE 1964 P19-20.
- . MEDAOIU ABDELKADER VERS1840 ParcourS LES HOMMES ET l'Histoire N13-14 OCTOBRE 1990 P179.
- **الدوريات.**

- توفيق مزاري عبد الصمد،ملتقى حول اهمية الاصلاح وعوامله،المدرسة العليا للاداب والعلوم الانسانية،(بوزريعة)،الجزائر،منشورات البناء الحضاري للمغرب الاوسط،الجزائر الى نهاية العهد العثماني،الجزائر،14 15فيفري،2009.
- سميرة أنساعد ،اسهامات محمد ابن أبي شنب في التعريف بالتراث الرحلي في الجزائر ، الملتقى الدولي بجامعة الجزائر ، 15-17 ديسمبر 2009
- محمد زمام، محمد بني أبي شنب وجهوده الأدبية والعلمية، مخبر الموسوعة الجزائرية المسيرة،جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2007. الفيدبيل (مجمد بن أبي شنب فقيه العلم) ترجمة عائشة خمار، مجلة الثقافة ، العدد 53، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.

- الفيدبيل (مجمد بن أبي شنب فقيه العلم) ترجمة عائشة خمار، مجلة الثقافة ، العدد 53، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.

•رسائل جامعية:

- عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائر 1925-1954، ج 1 ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2004-2005.

•كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر، التأسيس والتطور 1850-1951،قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، السنة2007-2008، مذكرة انيل شهادة ماجستر في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر

- مدني حسين: التعليم الرسمي الفرنسي في الجزائر 1884-1914، الغرب الجزائري نموذجا قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، مذكرة لنبل شهادة ماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر،2012-2013.

الفهارس

الفهارس

شكر .

إهداء .

قائمة المختصرات.

مقدمة 01

الفصل الأول: الوضعية العامة للتعليم في الجزائر ما بين 1830-1880 ....**06**

المبحث الأول: حالة التعليم العربي الاسلامي في الجزائرعند بداية الاحتلال.....**06**

المبحث الثاني: واقع التعليم في الجزائر في ظل التشريعات الفرنسية1850-1880...**10**

الفصل الثاني: بروز النخبة المثقفة الجزائرية.....18

المبحث الأول: مفهوم النخبة الاصلاحية الجزائرية.....18

المبحث الثاني: اتجاهها وأعلامها ووسائلها.....21

الفصل الثالث: **القضايا التعليمية والتربوية عند النخبة الاصلاحية**.....39

المبحث الأول: النشاط التعليمي للنخبة المثقفة الجزائرية.....39

المبحث الثاني: موقف الوسط الأوروبي من قضايا التعليم و التربية عند النخبة الإصلاحية الجزائرية.....53

المبحث الثالث: انعكاسات النخبة الجزائرية.....62

خاتمة 74

الملاحق 77

قائمة البيبليوغرافيا.....**81**

الفهارس.....87